سلسلة النبي والعترة

الأعظم بركة

الإمام محمد الجواد عليه السلام

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء

الأعظمُ بـرَكـةً

الإمام محمَّدٌ الجَواد عليه السلام

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com

الأعظمُ برَكةً
الإمام محمَّدٌ الجَواد عليه السلام

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

بعد الفراغ من كتاب (عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام) وقد قضيت عمرة في مكة المكرمة في أول شهر جمادى الثاني سنة 1443هـ، راقَ لي أن أبدأ حيث كنت في جوّ أخبار الإمام الرضا وأحاديثه، ومعي بالإضافة إلى المكتبات الإلكترونية على الإنترنت، مكتوبات محاضرات ومواضيع حول الإمام الجواد عليه السلام، فكانت أول سطور هذا الكتاب في الطريق بين مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام والمدينة في قطار الحرمين السريع قاصدين زيارة النبي الكريم والمعصومين من أهل بيته في المدينة، ولعلي أتفاءل بأن تكون مسيرتنا في ذكر سيرتهم عليهم السلام ما بين التوحيد والنبوة.

واليوم هو السبت؛ العاشر من شهر رجب الأصب 1443هـ وهو المصادف ليوم ميلاد الإمام محمد الجواد عليه السلام، بناء على ما سنقويه في الصفحات القادمة، يكتمل هذا الكتاب بإذن الله تعالى، وقد كان يمكن الاستمرار في الإبحار في محيط هذه الحياة

والسيرة الرائعة للإمام عليه السلام، لولا أننا محكومون ـ تقريبًا بحجم معيّن ولغرض معيّن ـ بأن يبقى الكتاب في هذه الحدود وألّا يتضخم بمقدار كبير وإلا فهناك عناوين كثيرة لم يُتعرض لها أو لم يتمّ بحثها بالمقدار الكافي والمستوعب.

وقد اقترح عَليَّ بعض الإخوة المؤمنين والمؤمنات ـ حيث طلبت رأيهم ـ بأن يكون عنوانه (باب المراد)، ومن الواضح عند شيعة أهل البيت عليهم السلام مناسبة هذا اللقب للإمام الجواد، فقد لا يوجد لقب بعد (الجواد) أشهر منه، ولكني رأيت أن الاستفادة مما لقبه به والده الإمام الرضا عليه السلام، ونسب إليه البركة العظمى، وقال إنه لم يولد مولود أعظم بركة منه على شيعتنا، رأيت أن هذا اللقب وإن لم يكن مشهورًا إلا أنه لما كان صادرًا عن عالم آل محمد الإمام الرضا، لا ريب أنه أشمل وأكمل من الآخر الذي هو مما تعارف عليه شيعة أهل البيت عليهم السلام وعلماؤهم، بحسب ما رأوا من تحقيقه صلوات الله عليه مراداتهم وحاجاتهم؛ على أحد تفاسيره ومعانيه.

سيتضح من خلال شرح هذه البركة، كيف كان أثرها الإيجابي على تثبيت عقائد المؤمنين بل في تثبيت إمامة المعصومين بدءًا من والده المكرم الإمام الرضا ومرورًا بأبنائه الأئمة: الهادي

والمهدي ﷺ حيث سيمر المؤمنون في أيامهما بظروف شبيهة بما مرَّ به المؤمنون في أيامه، وكان وجوده ﷺ وسيرته وتجربته - إن صح التعبير- منارًا ومصباحًا للمؤمنين فيما بعد، فامتدت بركاته إلى أيام إمامة حفيده المهدي عجل الله فرجه.

وليس المقصود هنا أن بركته مثلًا أعظم من بركة النبي المصطفى أو الوصي المرتضى، وإنما عظمة بركته بالقياس إلى غيره إلا من استثني من النبي أو سيد الأوصياء أو السبطين وهكذا المعصومين ﷺ.. فهؤلاء من الواضح خروجهم واستثناؤهم من ذلك العموم.

واقتصرنا في هذه الصفحات على ما نراه أكثر مخاطبة للجيل الشاب، وإذا ما أريد التفصيل فهناك من الكتب المفصلة بحمد الله ما يفي بهذا الغرض مثل موسوعة الإمام محمد الجواد ﷺ وهكذا مسند الإمام الجواد، وغيرهما مما ستراه في قائمة المصادر.

أسأل الله سبحانه أن يوفق لإكمال هذه السلسلة التي خرج منها قبل هذا ستة كتب: الإمام المهدي: عدالة منتظرة، إني فاطمة وأبي محمد، إنهما ناصران: خديجة وأبو طالب، سيد الجنة: الإمام الحسن بن علي، كاظم الغيظ: الإمام موسى بن جعفر، وأخيرًا عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ جميعًا.

كما أسأل الله أن يشرك في ثواب هذا الكتاب والديّ وأسرتي وجميع من شارك فيه بنحو من الأنحاء وأن يحشرنا في شفاعة هذا الإمام العظيم والجواد الكريم إنه على كل شيء قدير.

فوزي بن المرحوم
محمد تقي آل سيف
1443 /7/10 هـ
تاروت ـ القطيف

الهوية الشخصية للإمام الجواد

اسمه: محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

لقبه: الإمام الجواد.

كنيته: أبو جعفر.

ولادته: رجب سنة 195 هـ.

والده: علي بن موسى الرضا

والدته: سبيكة، الخيزران

شهادته: ذو الحجة 220 هـ.

موقعه: التاسع من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

الإمام الجواد من الميلاد إلى الاستشهاد

تباشير الولادة:

1/ سبق ولادةَ تاسع أئمة أهل البيت الإمام الجواد محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام تباشيرُ كثيرة بعضها يمتد إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعني قبل نحو قرنين من السنوات، وبعضها لما دون ذلك[1].

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا 1/ 64 في حديث يرويه الإمام الحسين عليه السلام عن جده رسول الله مبشرًا بالأئمة ومعددًا أسماءهم حتى يصل إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، فيذكر فضله ثم يقول: «وإنّ الله عز وجل ركب في صلبه نطفة مباركة طيبة زكية رضية مرضية وسماها محمد بن علي فهو شفيع شيعته ووارث علم جده له علامة بينة وحجة ظاهرة إذا ولد يقول: لا اله إلا الله محمد رسول الله ويقول في دعائه: (يا من لا شبيه له ولا مثال أنت الله الذي لا اله إلا أنت ولا خالق إلا أنت، تفني المخلوقين وتبقى أنت حلمت عمن عصاك، وفي المغفرة رضاك).
كما بشر به جدّه موسى بن جعفر عليه السلام: كما ورد في الكافي 1/ 363 كما روى عنه يزيد بن سليط الزيدي، قال: لقيت أبا إبراهيم عليه السلام ونحن نريد العمرة... قال لي: يَا يَزِيدُ وإِذَا مَرَرْتَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ ولَقِيتَه وسَتَلْقَاه فَبَشِّرْه أَنَّه سَيُولَدُ لَه غُلَامٌ أَمِينٌ مَأْمُونٌ مُبَارَكٌ وسَيُعْلِمُكَ أَنَّكَ قَدْ لَقِيتَنِي فَأَخْبِرْه عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْجَارِيَةَ الَّتِي يَكُونُ مِنْهَا هَذَا الْغُلَامُ جَارِيَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مَارِيَةَ جَارِيَةِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم أُمِّ إِبْرَاهِيمَ فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُبَلِّغَهَا مِنِّي السَّلَامَ فَافْعَلْ!
وبَشّر به أبوه الرضا عليه السلام كما ورد في معجم الأحاديث المعتبرة 2/ 271 الشيخ محمد آصف المحسني، برواية عبد الرحمن بن أبي نجران: «أُشْهِدُ اللَّه أنّه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني اللَّه ولدًا مني» قال عبد الرحمن بن أبي نجران: فعددنا الشهور من الوقت الذي قال فوهب اللَّه له أبا جعفر عليه السلام في أقلّ من سنة..

وميلاد فرد من أفراد الأسرة النبوية وإن كان له أهمية، إلا أن هذا المقدار من الترقب الزائد والاحتفاء الكبير يشير إلى أن شيئًا غير عادي سيترتب على ذلك الميلاد، وهو ما حصل مع ولادة الإمام الجواد عليه السلام.

لقد وصف في حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيتكون من «نطفة مباركة، طيّبة، زكيّة، رضيّة، مرضيّة. وسمّاها محمد بن علي، فهو شفيع شيعته، ووارث علم جدّه، له علامة بيّنة وحجّة ظاهرة..».

وفي حديث الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وصف بأنه سيولد للإمام الرضا «غلام، أمين، مأمون، مبارك».

2/ **من الثابت أن ميلاد المولود المبارك قد تأخر**، بالقياس إلى السن العادية للإنجاب، فبالنظر إلى سن والده الإمام الرضا عليه السلام، الذي كانت ولادته في سنة 148 هـ، وولادة ابنه الإمام الجواد في سنة 195 هـ يكون عمر الإمام الرضا حين وُلد الجواد سبعة وأربعين عاما (47)، وفي هذا دلالات متعددة:

منها ما يناقض قول أصحاب الغلو الذين يزعمون أن الله سبحانه قد فوض كل شيء للأئمة من الرزق والعطاء والمنع، وهم في ذلك مستقلون! فإن تأخر الانجاب عند الإمام الرضا يدل على خلاف ذلك، وأنهم صلوات الله عليهم مع كونهم أوصياء النبي وحجج

الله على خلقه، وأدلاء على صراطه إلا أنهم لا يخرجون عن كونهم عبادًا مكرمين مربوبين تجري عليهم أوامر الله التشريعية والتكوينية، ولا يضر ذلك بمكانتهم العليا عند الله تعالى، بل يجري عليهم صنوف البلاء والامتحان وهم يصبرون عليها ويتحملونها مهما عظمت لكي يكونوا قدوة لغيرهم من البشر.

إنّ هذا هو امتحان للناس في تصديقهم وتسليمهم لما يأتي عن أئمتهم المعصومين، فبينما وجدنا الكثير من أولئك سلموا وصدقوا ما قاله أئمتهم عليهم السلام، وجدنا آخرين يشككون في إمامة الإمام وينحرفون على أثر ذلك.

ويظهر من بعض الأخبار ـ وهو ما يوافق تحليلات تاريخية ـ أن الإمام الجواد عليه السلام كان الوليد الوحيد[1] للإمام الرضا، وذلك أنه لم يولد له قبله أي مولود وهذا ما جعل بعض أركان فرقة الواقفية

(1) ذكره المسعودي (ت 346) مختصرًا في إثبات الوصية / 217، وحسين بن عبد الوهاب (ت في القرن الخامس) عيون المعجزات/ 112 مفصلًا بهذا النص: إنّما ارزق ولدًا واحدًا وهو يرثني، فلما ولد أبو جعفر عليه السلام قال الرّضا عليه السلام لأصحابه: قد ولد لي شبيه موسى بن عمران، فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم قدّست أمّ ولدته، قد خلقت طاهرة مطهّرة.
وكذلك نقل المسعودي في المصدر نفسه/ 219 عن حنان بن سدير قال: قلت للرضا عليه السلام: يكون إمام ليس له عقب؟ فقال لي: أما انّه لا يولد لي إلّا واحد ولكن الله ينشئ منه ذريّة كثيرة، كما ذكره الاربلي (ت 693) في كشف الغمة 3/ 95 ولأجل هذا قال الشيخ المفيد (ت 413) في الإرشاد 2/ 271: ولم يترك ولدًا نعلمه إلّا ابنه الإمام عليه السلام، وأبو علي الطبرسي (ت 548) في إعلام الورى بأعلام الهدى 2/ 86: وكان للرضا عليه السلام من الولد ابنه أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام لا غير، كما ذكر نظير ذلك ابن شهرآشوب (ت588) في المناقب4/ 367: وولده محمد الإمام فقط..

يستندون على هذا الأمر للتنكر لإمامة الإمام الرضا، بزعم أنه لم يولد له أي ولد وبالتالي فهو عقيم ومن كان عقيمًا فهو ناقصٌ عن غيره، ولا يكون الإمام ناقصًا، ونستفيد من هذا أن هذه الفكرة لا تكون تامة عندهم لإدخال الشبهة على الآخرين إلا بفرض أنه لم يكن له إلى ذلك الوقت أي ولد، ذكرًا كان أو أنثى!

3/ **يوجد في تاريخ ولادة الإمام الجواد اختلاف في الشهر**، وهو قد يبدو غير مهم، فكم اختلف المؤرخون في شهر ويوم ولادة أو وفاة المعصومين وغيرهم، إلا أن هذا الاختلاف هنا، له بعض الآثار ومنها أن أحد التاريخين يرتبط بدعاء مشهور بين الإمامية يدعى به في شهر رجب[1]، لذلك يناسب أن نلقي نظرة عليه:

فقد ذهب جمع من الإمامية إلى أن ميلاده كان في شهر رمضان المبارك من سنة 195 هـ، ومنهم الشيخ الكليني[2]، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ الطبري، والطبرسي. وتبعهم بعد ذلك غيرهم.

(1) الشهر السابع من السنة القمرية الهجرية، ويحاط بأهمية كبيرة عند أتباع أهل البيت خصوصًا لكونه أول الأشهر الحرم ويستحب الصوم فيه مؤكدا، وبعضهم يصومه كاملا، بل العمرة فيه تفضل سائر الشهور بما فيها شهر رمضان!

(2) نقله عنهم الشيخ محمد تقي التستري في رسالة في تواريخ النبي والآل 1/ 17. فقال: اتّفق الكليني والمفيد والشيخ في التهذيب والمسعودي في الإثبات وابن الخشّاب وغيرهم على أنّه في شهر رمضان..

والرأي الآخر أنه ولد في شهر رجب وهو يبتني على الدعاء المشهور المروي عن الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد في التوسل بالإمامين وهو من أعمال شهر رجب: «عن ابن عياش أنه خرج من الناحية المقدسة على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح هذا الدعاء في أيام رجب: «اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب، محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتجب».

وقد أشار الشيخ عبد النبي الكاظمي لهذا القول بالنحو التالي: «وفي الكافي: روى أنه ـ أي الهادي عليه السلام ـ ولد في رجب»، وهو الأصح لورود الدعاء المشهور المروي في كتب المصابيح منها الإقبال عن الشيخ في مصباح المتهجد: عن ابن عياش أنه خرج من الناحية المقدسة على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح هذا الدعاء في أيام رجب: «اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب، محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتجب» إلى آخر الدعاء، فيدل على أنهما[1] ولدا في رجب، وقد ذهب إليه بعض الأصحاب.

ولعل الرواية التي أشار إليها الكليني والطبرسي في الإعلام

(1) من هنا يبدأ الاستدلال على ولادة الإمام الجواد في رجب، مع أن أصل الاستدلال كان لجهة ميلاد ابنه الهادي عليه السلام.

وابن طاووس هي هذه، لكن بعد شهرة الدعاء بين الطائفة لا وجه للعدول عما اقتضاه من ولادتهما في رجب.

قيل: وأجابوا عن هذا بأنه عليه السلام أراد التوسل بهما في هذا الشهر لا لكونهما ولدا فيه فيكون الظرف أعني - في رجب - متعلقًا بقوله: (أسألك).

وهذا الجواب مما لا يرضى به المجاب عنه، فإن مقتضى قولهم: «وفي رواية ابن عياش أنه ولد في رجب» تسليم دلالة الدعاء على ذلك، وأيضًا فإن هذا التأويل خلاف الظاهر وفيه الحجة، ولم يرد ما يعارضه، فإن الجماعة ذكروه فتوى منهم، ولم يذكروا له مستندًا فلا معارض له، وإذا لم يكن له معارض فلا يصح التأويل والأخذ بخلاف الظاهر.

فإن قيل: إن الرواية لعلها لم يثبت صحتها عندهم.

قلنا: لا وجه لعدم الصحة بعد هذه الشهرة بين الأصحاب، قال الكفعمي:

«إن في إبطال الرواية إبطال للدعاء، وقد أجمعت الفرقة المحقة على صحته»[1].

(1) الكاظمي؛ الشيخ عبد النبي: تكملة الرجال 2/ 745.

وخلاصة ما ذكر آنفًا:

أ/ أن ما اختاره الكليني وأصحاب القول الأول هو رأيٌ (وفتوى) وليس رواية ويبقى بالتالي في دائرة الاجتهاد.

ب/ في المقابل فإن القول الثاني معتمد على رواية نقلها نفس أصحاب القول الأول، وهم وإن لم يعملوا بها إلا أن عدم عملهم بها لا يُلزمنا.

ج/ إن هذه الرواية تساعدها الشهرة بل السيرة العملية للمتشرعة في أنهم يواظبون على قراءة هذا الدعاء والتوسل بالإمامين الجواد والهادي.

ونقل العلامة المجلسي في البحار كلام الشيخ الكفعمي المخالف لما جاء في الرواية ورد عليه بالنحو التالي[1]: ذكر الكفعميّ في حاشية البلد الأمين بعد ذكر كلام الشيخ: وبعض أصحابنا كأنّهم لم يقفوا على هذه الرواية، فأوردوا هنا سؤالًا وأجابوا عنه وصفتها: إن قلت: إنّ الجواد والهادي عليهما السلام لم يولدا في شهر رجب، فكيف يقول الإمام الحجّة عليه السلام: «بالمولودين في رجب»؟ قلت: إنّه أراد التوسّل بهما في هذا الشهر لا كونهما ولدا فيه.

(1) المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار50/ 16.

قلت: وما ذكروه غير صحيح هنا، أمّا أوّلًا: فلأنّه إنّما يتأتى قولهم على بطلان رواية ابن عيّاش وقد ذكرها الشيخ. وأمّا ثانيًا: فلأنّ تخصيص التوسّل بهما في رجب ترجيح من غير مرجّح لولا الولادة. وأمّا ثالثًا: فلأنّه لو كان كما ذكره، لقال عليه السلام: الإمامين ولم يقل المولودين. انتهى ملخّص كلامه.

أقول: «في تعيين شهر ولادته عليه السلام مرسلتان، أحدهما: ما عن العسكري عليه السلام «بأنّه في شهر رمضان». وثانيهما: ما بيد الشيخ أبي القاسم الظاهر في التوقيع عن الحجّة عليه السلام «ولادته وولادة ابنه عليهما السلام في شهر رجب» إلّا أنّ الكليني والمفيد والشهيد وغيرهم من المؤرّخين قالوا بالأوّل وبعضهم ـ كما ترى ـ ذكر خبر ابن عيّاش رواية ولم يهجروها ولم يطعنوا فيها إلّا من قال بأنّ لفظ محمّد بن عليّ (الثاني) تحريف عن (الأوّل) فكان المراد به الباقر عليه السلام. علمًا بأنّه ينافي ذيله «وابنه عليّ بن محمّد المنتجب»؛ وأنّه لم يعهد تقييد اسم الباقر عليه السلام بمحمّد بن عليّ الأوّل، فتدبّر»[1].

أقول: بهذه الفقرة الأخيرة يرد على العلامة التستري[2] الذي

(1) يظهر أن هذه الفقرة هي من تعليقات السيد محمّد باقر الموحّد الأبطحي الأصفهاني الذي قام بتجميع الجزء الخاص بالإمام الجواد في العوالم، الإمام الجواد 1/ 24، من موسوعة العوالم للشيخ عبد الله البحراني.

(2) التستري؛ الشيخ محمد تقي: الأخبار الدخيلة1/ 253.

تابع من قال بأن كلمة (الثاني) تحريف عن كلمة (الأول).. في كتابه الأخبار الدخيلة، وجوابه هو ما تقدم من أنه لم يعهد تقييد اسم الإمام الباقر بمحمد بن علي الأول، كما أنه ينافي ذيل الدعاء «وابنه محمد بن علي المنتجب».

كذلك لا يضر بالقول هذا ضعف الراوي ابن عياش وأنه خلط في آخر عمره، فإن الدعاء المذكور من الشهرة العملية عند الطائفة ما لا يضر به تخليط الشخص خصوصًا في آخر عمره!

وفيما يبدو حكمةً لصدور الدعاء عن الإمام المهدي عليه السلام، في أنه للرد على الواقفية التي أصرت على عقم الإمام الرضا وأنكرت ولادة الإمام الجواد، كان هذا الدعاء خاصًا بهما بالرغم من كون ميلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في شهر رجب ومع ذلك لم يذكر في الدعاء[1].

ولذلك نرى أن القول الثاني الذي يذهب إلى كون ولادته المباركة في شهر رجب هو الأرجح والأقرب.

(1) أشار إليه المرجع الديني المرحوم الشيخ التبريزي في صراط النجاة 10/ 412 حيث قال في جواب سؤال عن سبب عدم ذكر مولد الإمام علي في الدعاء المذكور: ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الثالث عشر من رجب أمر معلوم عند أكثر المسلمين وعامة الشيعة ولعل التأكيد على ذكر ولادة الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام مقابل فرق الواقفة والضالة التي أنكرت إمامتهما وأريد بالزيارة التأكيد على إمامتهما.

4/ إننا نلاحظ أنه تمَّ توصيف مولد الإمام بالمولد المبارك وبأنه المولود الذي لم يولد أعظم بركة منه على الشيعة[1]. وبعض عبارات هذه الروايات تستوقف الناظر مما ينبغي التوقف معها لبعض الوقت؛ فهل هي ناظرة إلى زمانه عليه السلام وأنه سيكون زمان خير وبركة؟ كما احتمله العلامة المجلسي وغيره[2]!

(1) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي (دار الحديث) 2/ 102، والشيخ المفيد في الإرشاد، 2/ 279 ناقلًا عنه بسنده إلى (أبي) يحيى الصنعاني قال: كنت عند أبي الحسن الرضا فجيء بابنه أبي جعفر وهو صغير، فقال عليه السلام: «هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم على شيعتنا بركة منه».
والظاهر ان الإمام الجواد عليه السلام اشتهر بهذا الاسم اي انه المولود المبارك ويشير إلى ذلك نفس كلام الإمام السابق، حيث أشار إليه بأنه: هذا المولود المبارك، وكأن بينه وبين مخاطبيه عهدًا وكلامًا على مولود مبارك، وأنه هو هذا.. ويزيدك بيانًا ما جاء في روايات متعددة يرويها أشخاص متعددون وفي أماكن مختلفة، مما يشير إلى أن الإمام عليه السلام كان يتعمد أن يخبر أصحابه في مختلف الأماكن ومع تعدد الأشخاص بهذا المولود المبارك؛ فمن ذلك ما رواه في بحار الأنوار50/ 22 ناقلًا عن الخرائج بسنده إلى:
ـ علي بن أسباط وعبّاد بن إسماعيل: إنّا لعند الرضا عليه السلام بمنى إذ جيء بأبي جعفر عليه السلام، قلنا: هذا المولود المبارك؟ قال عليه السلام:«نعم هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركة منه».
ـ وروى في الكافي6/ 361 عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن يحيى الصنعاني قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكّة، وهو يقشّر موزًا ويطعمه أبا جعفر عليه السلام فقلت له: جعلت فداك هذا المولود المبارك؟ قال: نعم يا يحيى، هذا المولود الذي لم يولد في الاسلام مثله مولود أعظم بركة على شيعتنا منه!
فأنت ترى في هذه الروايات وغيرها يتحدث الإمام معهم عن مولود مبارك معهود، وهم يسألونه عنه! ويشيرون إليه بأنه هل هذا هو المولود المبارك؟
نعم روى في الكافي أن الإمام جعفرًا الصادق عليه السلام أشار إلى ابنه موسى الكاظم بأنه «لم يولد أعظم بركة على شيعتنا منه» وهي رواية منفردة وسندها ضعيف كما أشار إليه العلامة المجلسي في مرآة العقول، ولعل اشتباهًا حصل لأحد الرواة في اسم الوالد والولد. والله العالم.

(2) المجلسي؛ العلامة: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول 3/ 380 قال: وتخصيصه عليه السلام بعظم البركة لرفاهية الشيعة في زمانه أو لكثرة جوده وسخائه، أو يكون الحصر إضافيًا بالنسبة إلى غير الأئمة عليهم السلام.

إن هذا وإن كان محتملًا إلا أن الناظر للواقع السياسي الذي عاشه الإمام الجواد، والشيعة في زمان المعتصم العباسي وما بعده لم يكن زمان رخاء كما يفترضه أصحاب هذا التفسير. وسيأتي شيء من الحديث عن زمان المعتصم وشخصيته. وفيه سيتبين خلاف هذا الأمر.

وكذلك تفسير البركة كما عن السيد أبي الفضل الطباطبائي بأنه من خلال «ولادة الإمام وبلوغه منصب الإمامة ثبتت المسألة الاعتقادية بالتصديق بنبوة عيسى ويحيى ببركة ولادة الإمام الجواد»[1] فإننا نجد أن العكس هو الذي حصل، فقد استدل الإمامان الرضا والجواد على إمامة الجواد بنبوة عيسى ويحيى، وهذا يعني أنها مفروغ منها عند الناس حتى يتم التنظير بها والتمثيل.. فكيف تحتاج إلى إمامة الإمام الجواد لكي تثبت؟ هذا على أن الروايات فيها لفظ الشيعة، وأنه أكثر بركة على شيعتنا، بينما قضية عيسى ويحيى أعم من الشيعة وتشمل المسلمين.

(1) الطباطبائي؛ أبو الفضل: بحث الفقه منشور في موقع مدرسة الفقاهة .https: / /ar.lib.eshia ir/ وتاريخ البحث هو 9/ 7/ 1441هـ وقد ذكرها كإحدى نقاط البركة المترتبة على ولادة الإمام الجواد عليه السلام، وقد ذكر باقي آثار تلك البركة من أثرها على التصديق بالإمام الرضا عليه السلام وهو ما سنشير له في المتن، وكذلك التصديق بإمامة الإمام المهدي مع صغر سنه.

وكذلك يمكن المناقشة في ما أشار إليه بعض الفضلاء[1] من أن الإمام الجواد ثبت بإمامته فكرة أن الإمامة هي شأن إلهي ورباني ولا دخل للبشر فيه، بل ولا للعمر في تحققه وإنما هو اختيار من الله سبحانه، وقد استدل على ذلك بما ذكره علي بن جعفر الصادق وقوله بعد أن استنكر عليه بعض الحاضرين شدة توقيره للإمام الجواد وهو في سن بعض أحفاده، بينما علي بن جعفر هو عم والد الإمام الجواد فقال: ما أصنع إن كان الله سبحانه لم يَرَ هذه الشيبة أهلًا للإمامة ورآه أهلًا لها؟[2]

نقول هذه الفكرة بذاتها صحيحة وهي من آثار إمامة الإمام الجواد عليه السلام واستقرارها بين الشيعة، لكن الروايات كأنها ناظرة إلى جهة الولادة وأن للولادة موضوعية، قبل مسألة الإمامة.. نعم للإمامة آثار كثيرة وما ذكره الفاضل المذكور في محله وسيأتي الإشارة إليه.

رأينا في البركة العظمى الجوادية:

إننا نعتقد أن البركة العظمى التي ترافقت مع ولادة الإمام الجواد عليه السلام في الأساس هي أنه بولادته ثبّت إمامة أبيه ودفع عنها

(1) القاضي الشيخ محمد كنعان في تسجيل له منشور على اليوتيوب.

(2) الكليني: الكافي1/ 370، قال علي بن جعفر: إذا كان الله عز وجل ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟

شبهات الواقفية، وكانت تيارًا خبيثًا ويكاد يكون مدمرًا للكيان الشيعي الإمامي. وقد أشرنا إلى بعض جهاتها في كتابنا (عالم آل محمد). وخطورتها في أنها قد استقطبت عددًا غير قليل من الأسماء المهمة عند الشيعة من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ووكلائه، وكانت تعتمد على فكرة ظاهرها صحيح، وباطنها هدم لإمامة الرضا عليه السلام، وحاصلها أن الإمام هو أكمل الناس فلا يكون ناقصًا، والعقم وعدم الإنجاب يعتبر نقصًا، والرضا ليس له ولد (إلى سن 47) لم يرزق بولد، فكان كل بنائهم معتمدًا على هذه النقطة، فإذا تمَّ تفنيد هذه النقطة فإن هذا البناء الفاسد يتلاشى، ومع أن الإمام الرضا كان يقول بثقة جازمة بأن الله سيرزقه ولدًا، إلا أن أولئك كانوا يزدادون تكذيبًا، وكان الوضع يزداد تأزّمًا كلما مرت السنوات تباعًا.

وبطبيعة الحال ستنطلي حيلة الواقفة تلك على قسم من شيعة الإمام، ولا حل لها إلا بأن يكون الإمام صاحب ولد! فكانت ولادة الإمام الجواد عليه السلام هادمة لبنائهم وناقضة لبدعتهم[1].

وبولادته عليه السلام، تبخرت تلك الفرقة وتنكس لواؤها، فانظر أي

(1) المصدر نفسه 369 ـ عن الرضا عليه السلام في حديث قال: والله ليجعلن الله مني ما يثبت به الحق وأهله، ويمحق به الباطل وأهله فولد له بعد سنة أبو جعفر عليه السلام.

بركة في نفس هذه الولادة! لم يكن هناك حاجة إلى أي شيء آخر، وإن كان سيبرز منه في الإمامة ما كان فيه نظير عيسى ويحيى وأمثالهم.. ممن احتج الله بهم وهم صغار في السن.

لكننا في هذه المرحلة لم نكن نحتاج إلى أي شيء سوى ولادته المباركة! لا كلام ولا فعل ولا إعجاز! فنفس الولادة هي أبطلت دعواهم.

وللمرة الأولى نرى أن الإمام التالي يثبّت إمامة الإمام السابق، إذ المعتاد هو أن ينص الإمام السابق على اللاحق ويثبت بنصه عليه إمامته، بينما هنا نجد الأمر مختلفًا فبهذه الولادة ثبّت الإمام الجواد إمامة أبيه الرضا، ورد فتنة الواقفية بدعواهم عقمه، وخدشهم في إمامته!

ولعله لهذه الجهة قيّد الإمام الرضا البركة بأنها أعظم بركة على شيعة أهل البيت فوصفه بأنه «المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه»

ولذلك نعتقد أن إشارات الإمام الرضا عليه السلام إلى هذا المولود المبارك، ناظرة إلى هذه الجهة.

5/ وكما كانت ولادته مباركة بذلك النحو العظيم فإن إمامته

كانت كذلك، فستكون إمامته بعد استقرارها وثباتها قاطعة لأي سؤال بعدها حول صغر سن الإمام، وستُثبِّت بالتالي إمامة الأئمة من بعده، فابنه الإمام علي الهادي عليه السلام أيضًا سيتولى الإمامة، وهو مثل هذه السن! وحفيده الإمام المهدي عجل الله فرجه، سيكون دون هذه السن!

والملاحظ أنه لم تحصل إثارة بعد الإمام الجواد أو تشكيك في إمامة أي من الأئمة الذين تولوا الأئمة وهم صغار السن! فإذا كان في زمان الجواد فرقة الواقفية وشككت في إمامته، أو غيرهم.. فإننا لا نجد نفس الأمر في زمان الإمام علي الهادي مثلًا وهكذا الحال في زمان الإمام المهدي عليه السلام، وهذا يشير إلى أن السؤال والاستغراب في تولي الإمام إمامة الناس وهو صغير السن قد انطفأ وانتهى!

وهذه من بركات (إمامة) الجواد واستقرارها بين الناس، وقد أشار إليها الكثير ممن كتب أو تحدث عن معنى قول الإمام الرضا الذي ذكرناه قبل قليل، ونحن نعتقد أن الأمر لم يتم بصورة بسيطة؛ وذلك أن قضية تولي شخصٍ إمامةَ الناس ولا سيما بالمقاييس التي تذكرها المصادر الشيعية الإمامية، لا تتناسب

ولا سيما في الذهنية العربية[1] مع كون متولي هذا المقام صغير السن! فما الذي تمَّ حتى ثبتت هذه القضية بالحد الذي ما عادت تثير سؤالًا فيما بعد؟

نعتقد أنه تمَّ العمل في زمان الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام على تثبيت القضية في مرحلتيها النظرية والعملية:

أما المرحلة النظرية:

فقد بدأت في زمان الإمام الرضا عليه السلام، بالبرهنة على أن الإمامة الإلهية ـ سواء كانت في صورة النبوة أو الإمامة ـ لا ترتبط بمقاييس الناس واستقرابهم أو استبعادهم[2]، وإنما هي خيرة الله ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[3]، ومن ذلك أنه قد يعطي النبوة لطفل صغير بينما لا ينالها الشيخ الكبير الطاعن في السن عبادة! فقد آتى الله عيسى بن مريم النبوة والرسالة،

(1) يقيم المجتمع العربي ـ لا سيما قبل الإسلام الذي جاء بميزات تفاضل جديدة ـ أهمية كبيرة لعامل السن والعمر، وكأنه يربط بينه وبين العلم والحكمة، ولذلك رأينا مواضع متعددة في تاريخ العرب والمسلمين كيف أنهم عارضوا إمارة شخص أو قيادته ليس إلا لأنه صغير السن، ويظهر ذلك صريحًا في معارضتهم تأمير النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسامة بن زيد قائدًا عليهم في الجيش، وأوضح منه إبعادهم أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام عن القيادة بعد النبي بمبررات كان منها صغر سنه، وكبر سن أولئك!

(2) الزخرف: 31 ـ 32: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (*) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

(3) القصص: 68.

ويحيى الحكم وهما صبيان[1]. بل أوتي سليمان النبوة وهو لا يزال صغير السن[2].

بل وأشار الإمام في أحاديث متعددة إلى أن عيسى كان صاحب شريعة مبتكرة ومبتدأة وقد بعث بالنبوة صبيًّا، بينما الإمام في الإمامة هو مكمل لأدوار جده المصطفى وليس صاحب منهج جديد.

في هذه المرحلة كان الإمام الرضا عليه السلام يشير إلى إمامة ابنه الجواد، وهو لا يزال طفلًا، وعندما يستغرب الحاضرون يشير إليهم بما حصل للنبيين عيسى ويحيى عليهما السلام[3].

(1) مريم: 29 ـ 31: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (*) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (*) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مريم: 12: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

(2) أبو الفدا؛ عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ): المختصر في أخبار البشر1/ 35: «ولما صار لداود سبعون سنة توفي.. وأوصى داود قبل موته بالملك إلى سليمان ولده، وأوصاه بعمارة بيت المقدس، فلما مات داود ملك سليمان، وعمره اثنتا عشرة سنة وآتاه الله من الحكمة والملك ما لم يؤته لأحد سواه على ما أخبر الله عز وجل به في حكم كتابه العزيز».
أقول: قد أشارت إلى ذلك رواية الكافي1/ 431 أيضًا فقد سأله الراوي «قلت له: إنّهم يقولون في حداثة سنّك! فقال: إنّ الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان وهو صبيّ يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم. فأوحى الله إلى داود عليه السلام أن خذ عصا المتكلّمين وعصا سليمان واجعلهما في بيت واختم عليها بخواتيم القوم فإذا كان من الغد، فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا».

(3) الكليني: الكافي1/ 370 ويلاحظ أن الحوار كان في خراسان؛ عن الخيراني، عن أبيه قال: كنت واقفًا بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان فقال له قائل: يا سيدي إن كان كون فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني، فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك =

وسيأتي الحديث في صفحات قادمة عن تحليل صغر السن وكيف أنه لا يمنع ـ بالضرورة ـ المقامات العالية من العلم والإمامة وأمثالها، وإنما قد يمنع ذلك فيما هو مشاهد عند الناس ومعتاد لهم، وهذا لا يكفي في إثبات الممانعة.

وأما المرحلة العملية:

فقد برهن عليه السلام من خلال ممارسته لمهام الإمامة وأولها تفصيل الشريعة ومعارف الدين على أنه كآبائه الكرام قد ورثوا علمها واضطلعوا بتبليغه، وما سئل في مسألة إلا وأجاب فيها بالجواب الصحيح الذي لا يتعدى ما قرره آباؤه وأجداده، بل وأوضح لمن تصدى من غير أهلية كافية وجه الحق والصواب.

فمن ذلك ما أجاب به على يحيى بن أكثم القاضي العباسي، وسيأتي بيان له وتفصيل في الحادثة في الصفحات القادمة.

ومن ذلك ما أوضحه للحاضرين، مصححًا لما قاله عبد الله بن موسى الكاظم، حيث جلس في صدر المجلس، وتصدى

= وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولًا نبيا، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر عليه السلام.

وأيضًا؛ الحر العاملي: إثبات الهداة 4/ 384 عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام أنا وصفوان بن يحيى وأبو جعفر عليه السلام قائم قد أتى له ثلاث سنين، فقلت له: جعلت فداك إن ـ أعوذ بالله ـ وحدث حدث فمن يكون بعدك؟ قال: ابني هذا وأومأ إليه فقلنا: وهو في هذا السن؟ فقال: نعم وهو في هذا السن، إن الله احتج بعيسى بن مريم وهو ابن سنتين.

للجواب عن الأسئلة وفي ذلك معنى التصدي للإمامة بعد شهادة أخيه علي بن موسى ـ الرضا ـ على الرغم مما هو مرتكز في أذهان الشيعة الإمامية من أن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين، فما دام الرضا علي بن موسى إمامًا فلا يمكن أن يكون أخوه عبد الله بن موسى إمامًا بعده!

هذا بالإضافة إلى أنه عندما أجاب على الأسئلة التي طرحت عليه، أجاب بما هو مخالف لقواعد فقه الإمامية وهو أقرب إلى فقه مدرسة الخلفاء في بعضه، وفيه خلط وتعثر في البعض الآخر مما زاد حزن الشيعة في حينها، إلى أن خرج الإمام محمد بن علي الجواد ـ ابن الرضا ـ ليجيب على الأسئلة بشكل صحيح، وليبين لعمه خطأ إجاباته ودليله في ذلك.. وسيأتي في بحث قضاياه العلمية ودوره تفصيل هذا المجلس وتلك المسائل.

هذا الاطلاع الواسع على علوم الشريعة، جعل إمامته عند شيعة أهل البيت عليهم السلام بل غيرهم حتى وهو في هذا السن أمرًا معجزًا لغيره، وأذعنوا له مقرين بها. حتى أولئك الذين كانوا في أول الأمر قد أخذتهم المفاجأة إذ كانوا قد اعتادوا على إمامة الكبار والكهول، ففاجأهم الأمر بأن يكون إمامهم الفعلي بهذه السن، ما لبثوا أن عاد إليهم اطمئنانهم وعلموا أنهم أمام ظاهرة إعجازية.

6/ **إعداد الإمام الرضا عليه السلام ولده الجواد للإمامة**، وإشارته إليه أمام الخاص والعام بالفضيلة والمنزلة العالية لم تقتصر على إزالة التعجب والاستغراب من السائلين عن إمامته وهو في تلك السن المبكرة، بل تجاوزت هذا إلى طريقة تعامله معه وإشهار ذلك بين أصحابه، حتى نقلوا جزءًا منه فهذا محمّد بن أبي عباد وكان يكتب للرضا عليه السلام يقول: ما كان ـ الرضا ـ عليه السلام يذكر محمّدًا ـ الجواد ـ إلا بكنيته يقول: كتب إليّ أبو جعفر[1] وكنت أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام وهو صبيّ بالمدينة فيخاطبه بالتعظيم وترد كتب أبي جعفر في نهاية البلاغة والحسن، فسمعته يقول أبو جعفر وصيّي وخليفتي من بعدي[2]. هذا مع أنه في ذلك الحين ربما كان عمره خمس أو ست سنوات!

وكان يكتب إليه في تفاصيل بعض المسائل، ويبين له ما ينبغي أن يكون عليه من السخاء كسجية آبائه، وألّا يستجيب لما يقوم به بعض المسؤولين والوكلاء من حجب خير المعصومين وبرِّهم عن الناس بدواع مختلفة، فقد وجه له كتابًا قال عنه أحمد بن

(1) لا يخفى أن التكنية من الصغر مستحبة، ويلاحظ هنا أن الوالد وهو الإمام الرضا قد كنى الإمام الجواد وهو صغير السن، وكان يخاطبه بكنيته، تقديرًا وتوقيرا.

(2) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج 4، الحر العاملي، ص 384.

محمد بن أبي نصر البزنطي بأنه قرأه ـ ولعل الإمام الرضا تعمد أن يريه إيّاه ـ وكان فيه: يا أبا جعفر بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير فإنما ذلك من بخل بهم لئلا ينال منك أحدٌ خيرًا فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلّا من الباب الكبير وإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد إلا أعطيته ومن سألك من عمومتك أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين دينارًا والكثير إليك ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين دينارًا والكثير إليك إني أريد أن يرفعك الله فأنفق ولا تخش من ذي العرش إقتارًا[1].

7/ **هل عُرِض على القافَة؟** ثم إن هناك رواية[2] نقلها الشيخ الكليني في الكافي تشير إلى أن الإمام الرضا عليه السلام واجه تشكيك بعض أقاربه الهاشميين في نسب ابنه محمد الجواد، وبنوته له، بأن لجأ إلى إثبات ذلك بالقيافة[3]، واستعان بشهادة القائف للبرهنة أمام المنكرين على أن الجواد ابنه.

ولوجود مشاكل متعددة في هذه الرواية سندًا ومتنًا فإنه لا

(1) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج 2، الشيخ الصدوق، ص 11.

(2) الكافي، ج 1، الشيخ الكليني، ص 370 علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني جميعًا، عن زكريا بن يحيى بن النعمان الصيرفي قال: سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين فقال: قال في تاج العروس 2/ 3.

(3) القائف: الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه. والقيافة: المصدر.

نستطيع قبولها وإن كان الراوي لها الشيخ الكليني في الكافي. وحيث أنها تنقل على المنابر أحيانًا، بل ربما استند إليها المخالفون في الطعن على المذهب أحببنا الإشارة إلى إشكالاتها بعد نقل متنها، فقد قال الراوي: «سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين فقال: والله لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام، فقال له الحسن: إي والله جعلت فداك لقد بغى عليه إخوته، فقال علي بن جعفر: إي والله ونحن عمومته بغينا عليه، فقال له الحسن: جعلت فداك كيف صنعتم فإني لم أحضركم؟ قال: قال له إخوته ونحن أيضًا : ما كان فينا إمام قط حائل اللون (أسمر أو أسود) فقال لهم الرضا عليه السلام: هو ابني!

قالوا: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قضى بالقافة فبيننا وبينك القافة، قال: ابعثوا أنتم إليهم فأما أنا فلا، ولا تعلموهم لما دعوتموهم ولتكونوا في بيوتكم.

فلما جاؤوا أقعدونا في البستان واصطف عمومته وإخوته وأخواته وأخذوا الرضا عليه السلام وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها ووضعوا على عنقه مسحاة وقالوا له: ادخل البستان كأنك تعمل فيه، ثم جاؤوا بأبي جعفر عليه السلام فقالوا: ألحقوا هذا الغلام بأبيه، فقالوا: ليس له ههنا أب ولكن هذا عم أبيه، وهذا عم أبيه، وهذا

عمه، وهذه عمته، وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان، فإن قدميه وقدميه واحدة. فلما رجع أبو الحسن عليه السلام قالوا: هذا أبوه!».

وملاحظاتنا عليها هي التالية:

أ/ من حيث السند: هذه الرواية تعتبر ضعيفة، فقد وصف العلامة المجلسي[1] سندها بأنه مجهول، وعلله السيد الشاهرودي في تقريراته في المكاسب المحرمة[2] بأن ذلك لأن في السند زكريا بن يحيى بن النعمان المصري ولم يذكره أهل الرجال.

ب/ من حيث الموضوع الأساس للرواية وهو اللجوء إلى القافة، بعد معرفة أن «القيافة حرام في الجملة، نسبه في الحدائق إلى الأصحاب وفي الكفاية: لا أعرف فيه خلافًا، وعن المنتهى: الإجماع»[3]

وقد ذمت الروايات من يلجأ إلى القافة ويقبل قولهم[4]، وقد

(1) المجلسي؛ العلامة: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول3/ 382.

(2) الشاهرودي؛ السيد علي الهاشمي: محاضرات في الفقه الجعفري = تقريرات دروس الإمام الخوئي في المكاسب 1/ 401.

(3) قاله الشيخ مرتضى الأنصاري في كتاب المكاسب2/ 7.

(4) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت)11/ 371: صحيحة محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا نأخذ بقول عراف ولا قائف ولا لصّ.
وعن الصادق، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم – في حديث المناهي – قال: ونهى عن إتيان العراف، وقال: من أتاه وصدقه فقد برئ مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

صرح السيد الخوئي بحرمته فقال «وكيف كان فحرمة الأخذ بقول القائف اجماعي، وأما ما حكي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الاستناد إلى القيافة فغير ثابت بل ممنوع»[1].

فكيف يفعله الإمام الرضا عليه السلام أو يقبل بفعله؟

لا يقال إن ذلك من باب الضرورة، فإننا لا نجد ضرورة لأن يصدق هؤلاء المشككون وإن تمَّ ذلك بمثل هذه الوسيلة غير المشروعة! لا سيما على القول بحرمتها إجماعا! أفَترى أن الإمام عليه السلام يريد تركيز هذه الوسيلة والطريقة في المجتمع؟ مع أنها محرمة؟ ولو كان هناك اضطرار ولزوم فإن لديه صلوات الله عليه من الوسائل العادية والغيبية ما يغنيه عن اللجوء لهذه الوسيلة!

ج/ وأما تفاصيل متن الرواية ففيه من الملاحظات الشيء الكثير؛ ولذلك رد هذه الرواية السيد الخوئي قائلًا: «فالأولى رد علمها إلى أهلها».

فأول ما فيها أن عليًّا بن جعفر الصادق قال: «إي والله ونحن عمومته بغينا عليه» وهو يخالف السيرة الرائعة المعروفة عن

(1) الشاهرودي: محاضرات في الفقه الجعفري1/ 402.

علي بن جعفر مع أخيه موسى بن جعفر ومع ابن أخيه الرضا، ومع الإمام الجواد وشدة الاحترام الذي كان يظهره له إلى الحد الذي كان يقول: أنا له عبد[1]!

وثاني ما فيها أن الرواية تقول: «وأخذوا الرضا عليه السلام وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها ووضعوا على عنقه مسحاة وقالوا له: ادخل البستان كأنك تعمل فيه» فهل هذا يتناسب مع مقام الإمامة، بحيث يعرّض الإمام نفسه لمثل هذا الموقف غير اللائق من أجل أن فلانًا أو فلانًا سيعتقد بأن محمدًا الجواد ابنه أو ليس كذلك؟

وثالث ذلك: ما أشار إليه السيد الشاهرودي[2] في تقريرات الخوئي من أن القافة لما حضروا قالوا هذا عمُّه وهذا عمُّ أبيه وهذه عمّتُه، وظاهره كون العمَّة مكشوفة الوجه فتأمل، ولا يليق

(1) الكليني: الكافي1/ 370 عن محمّد بن الحسن بن عمّار قال: كنت عند عليّ بن جعفر بن محمّد جالسًا بالمدينة وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما يسمع من أخيه ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ إذ دخل عليه أبو جعفر محمّد بن عليّ الرّضا عليه السلام المسجد ـ مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ـ فوثب عليّ بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبّل يده وعظّمه.
فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عمّ اجلس رحمك الله، فقال: يا سيّدي كيف أجلس وأنت قائم، فلمّا رجع عليّ بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبّخونه ويقولون: أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا إذا كان الله عزّ وجلّ ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهّل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، انكر فضله؟! نعوذ بالله ممّا تقولون، بل أنا له عبد.

(2) الشاهرودي: مصدر سابق1/ 402.

ذلك بنساء أهل البيت عليهم السلام حتى على القول بجواز كشف الوجه أو الكفين.

ورابع ما فيها: أن أعمام الجواد عليه السلام أجل شأنًا من أن يتوهموا ذلك فيواجهوا الإمام به فإنْ كانوا لا يرون الإمام إلّا مجرد كونه عالمًا بالأحكام بحيث يكون حاله كالفقيه العالم بها، فلا يضر في هذا العلم سمرة اللون أو بياضه، وإن حسبوا الإمامة منصبًا الهيًا يختار الله تعالى لها زبدة العالم وصفوة الخلق بعد نبي الإسلام لا يدانيه أحد في محاسن الأخلاق وجمال الخلقة فإنكارهم على أبي الحسن الرضا عليه السلام في ابنه الجواد عليه السلام ردٌّ للإمامة المجعولة من المولى سبحانه، فكيف أنكروا عليه حتى رجعوا إلى القائف[1]؟

وخامس ما فيها: القول بأنه ما كان فينا إمام حائل اللون! فإن كانوا يعتقدون بإمامة الرضا (بمقتضى قولهم ما فينا إمام..) فكان يكفيهم قوله، وإلا فهو اتهام له بنسبة غير ولده له وقذف لزوجته بالزنا والعياذ بالله فكيف يكونون ممن يؤمنون بالإمام والأئمة؟ وإن كانوا لا يعتقدون بالإمامة فماذا يعني أن يقولوا ما كان فينا إمام.. الخ.

(1) المصدر نفسه.

على أن هذه الفكرة ليست صحيحة من الناحية التاريخية، فقد ذكر كثير من المؤلفين بأن عددًا من الأئمة كانوا سُمُر اللون، بل اشتهر عن بني هاشم بأنهم دُلُم[1] يعني سُمُر الألوان!

فأما الأئمة فقد نقل أن الإمام أمير المؤمنين عليًا عليه السلام كان أسمر[2]، وأن الإمام محمدًا الباقر كان أسمر اللون[3]، ونقل كذلك أن الإمام جعفرًا الصادق، وكذلك ابنه موسى الكاظم[4]، وحتى علي بن موسى الرضا.. فكيف يقال: ما كان فينا إمام حائل اللون[5]؟

(1) يشير إلى ذلك كلام الجاحظ (ت255 هـ) في رسالته «فخر السودان على البيضان»، فقد قال في هذه الرسالة: «قالوا: وكان ولد عبد المطلب العشرة السَّادة دُلْمًا ضخما، نظر إليهم عامر بن الطُّفيل يطوفون كأنهم جمالٌ جونٌ، فقال: بهؤلاء تُمنع السَّدانة. وكان عبد الله بن عباس أدلم ضخما. وآل أبي طالبٍ أشرف الخلق، وهم سودٌ، وأدمٌ، ودلْم» انتهى من (الرسائل) للجاحظ (1/ 209)، تحقيق عبد السلام هارون. والأدلم: الشديد السواد.

(2) الأصفهاني؛ أبو الفرج: مقاتل الطالبيين 32: وكان عليه السلام أسمر مربوعًا وهو إلى القصر أقرب.

(3) لجنة التأليف؛ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام: أعلام الهداية 7/ 45.. ووصفه بعض المعاصرين له فقال: إنه كان معتدل القامة أسمر اللون.

(4) أعلام الهداية 9/ 28 ناقلًا عن جوهرة الكلام: وصفته معتدل القامة أسمر، وهو الوارث لأبيه. وكذلك الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وكذا أخبار الدول.

(5) الشاكري؛ حسين: موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام 13/ 30: المتسالم عليه أن جده (أي جد الجواد) الإمام الكاظم عليه السلام كان شديد السمرة، وقيل: أسود اللون، نحيف الجسم. وأباه الإمام علي الرضا عليه السلام كان أيضًا شديد السمرة، معتدل القامة. وعلى هذه الأوصاف في آبائه، فقل أنت في صفته! ولا أخالك تنسى ملامح جده الصادق عليه السلام الذي كان أسمر اللون، حالك الشعر جعده، والإمام الباقر عليه السلام الذي كان هو الآخر أسمر اللون، معتدل القامة، والإمام السجاد عليه السلام الذي كان أسمر، قصير القامة، ضامر البدن، وكان يزداد نحافة كلما تقدم به العمر.

8/ **في فهرسة سريعة يمكن لنا القول**: إن الإمام الجواد عليه السلام قد ولد في سنة 195 هـ بعد انتظار طويل، من جهة أبيه علي بن موسى الرضا عليه السلام ومن جهة أتباعه وشيعته الذين كانوا يعتقدون بقوة بصحة كلام إمامهم الرضا في أنه لا تمر الليالي والأيام حتى يرزقه الله مولودًا سيكون أعظم بركة من كل أحد على شيعة أهل البيت، وقد مرَّ توجيه هذه البركة وتفسيرها في الصفحات السابقة.

حتى إذا أطل نور الجواد على الدنيا أحاطه والده الإمام الرضا بكل صنوف العناية والرعاية[1] تأهيلًا له لدور الإمامة من بعده ومهد له طريق ذلك بالإخبار المتكرر لأصحابه وشيعته بأنه هو الذي سيقود المسيرة من بعده، وأن عهده سيكون إليه وبقي معه نحو خمس سنوات، حتى إذا صارت سنة 201 هـ وأشخص الإمام الرضا عليه السلام إلى طوس على رغم إرادته، من قبل السلطة العباسية أيام المأمون لأسباب تحدثنا عنها في موضع

(1) المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية 217.. فلما ولد أبو جعفر عليه السلام قال الرضا عليه السلام لأصحابه: قد ولد لي شبيه موسى بن عمران عليه السلام، فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم عليه السلام، قُدِّسَتْ أمٌّ ولدته.
فلما ولدته طاهرًا مطهرًا قال الرضا عليه السلام: يُقتل غصبًا، فيبكي له وعليه أهل السماء، ويغضب الله تعالى على عدوه وظالمه، فلا يلبث إلا يسيرًا حتى يحل الله به إلى عذابه الأليم وعقابه الشديد. وكان طول ليله يناغيه في مهده.

آخر[1]، فإن الإمام الرضا عليه السلام قد ترك ابنه الجواد في المدينة المنورة وعمره ست سنوات آنئذ، وبعد ذهاب الإمام الرضا كان يتواصل معه عبر الرسائل والكتب وكان يتقصد إظهار التوقير والتكريم له بدءا من تكنيته، وينقل عنه لأصحابه ما قاله له وما رد عليه فيه، وهكذا.

استشهد الإمام الرضا عليه السلام في سنة 203 هـ، وقد تجاوز الإمام الجواد سن الثامنة، ومع شهادة أبيه الرضا انتقلت الإمامة إليه، بعدما أوصى أبوه مرارًا ونص عليه في المدينة وخراسان وأعلم أصحابه وشيعته وغيرهم بخلافته إياه في منصب الإمامة[2]، وقد مرَّ قسم من تلك النصوص والاشارات عليه في صفحات سبقت ونضيف هنا بعضها الآخر؛ فقد سأل صفوان بن يحيى الإمام الرضا عليه السلام ـ وظاهر الرواية أنهما كان في المدينة وقبل ذهاب الإمام إلى خراسان بمدة ـ قائلًا: لا أرانا الله يومك فإن كان كونٌ ـ وفاة الإمام ـ فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟

(1) كتابنا (عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا).

(2) الشيخ المفيد في الإرشاد 2/ 274 حيث قال: من روى النص عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في إمامة الجواد عليه السلام هم: علي بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وصفوان بن يحيى، ومعمر بن خلاد، والحسين بن بشار، وابن أبي نصر البزنطي، وابن قياما الواسطي، والحسن بن الجهم، وأبو يحيى الصنعاني، والخيراني، ويحيى بن حبيب الريان، وجماعة كثيرة.

فقال: وما يضرّه من ذلك، فقد قام عيسى بالحجة وهو ابن ثلاث سنين![1]

فهذا في المدينة يسأله، وهناك من يسأله في الأهواز ويجيبه، فهذا جعفر بن محمّد النوفلي قال: لقيت الرضا عليه السلام وهو بقنطرة أُربَق[2] فسلمت عليه ثم جلست فقلت: جعلت فداك إن أناسًا يزعمون أن أباك حيّ؟ فقال: كذبوا لعنهم الله إلى أن قال قلت: فما تأمرني قال: اقتد بابني محمّد من بعدي[3].

وهكذا كان أيضًا في خراسان فهذا محمّد بن أبي عباد[4] يقول: ما كان عليه السلام يذكر محمّدًا إلا بكنيته يقول: كتب إليّ أبو جعفر وكنت أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام وهو صبيّ بالمدينة فيخاطبه بالتعظيم وترد كتب أبي جعفر في نهاية البلاغة والحسن، فسمعته يقول أبو جعفر وصيّي وخليفتي من بعدي.[5]

9/ **وكان من الطبيعي أن تثير إمامته في هذا السن** ـ وهو بحدود تسع سنوات من العمر ـ التساؤلات بل الإشكالات حيث لم تعهد قبل ذلك في تاريخ الأئمة المعصومين عليهم السلام.

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات4/ 381

(2) بلدة في جنوب ايران؛ نواحي الأهواز ويظهر أن اللقاء حصل بينهما في أثناء استقدام الإمام من المدينة إلى خراسان على هذا الطريق.

(3) الحر العاملي: المصدر السابق 383.

(4) وكان يكتب للرضا عليه السلام ضمّه إليه الفضل بن سهل في طوس.

(5) الحر العاملي: المصدر السابق 384.

ولهذا فقد «جاء محمد بن جمهور القمي، والحسن بن راشد، وعلي بن مدرك، وعلي بن مهزيار، وخلق كثير من سائر البلدان إلى المدينة وسألوا عن الخلف بعد الرضا فقالوا: بـ (صرْيا)، ـ وهي قرية أسسها موسى بن جعفر عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة ـ فجئنا ودخلنا القصر فإذا الناس فيه متكابسون فجلسنا معهم إذ خرج علينا عبد الله بن موسى (الكاظم) وهو شيخ، فقال الناس: هذا صاحبنا، فقال الفقهاء: قد روينا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام انه لا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين وليس هذا صاحبنا»[1]

وبعد أخذ ورد في هذا المجلس تبين للحاضرين أن معلومات عبد الله بن موسى ـ عم الإمام الجواد ـ والذي حاول أن يتصدى للإمامة، هي هزيلة بل لا تنتمي إلى مدرسة أهل البيت! وإنما ما أجاب به ابن الرضا محمد الجواد هو الذي سمعوه وعرفوه من آبائه. فكان ذلك ثاني براهين إمامته عندهم بعد وصايا أبيه وتصريحاته ونصوصه عليه. وسيأتي ذكر أجوبتهما في فصل دور الإمام العلمي.

وكما كان هنا اجتماع للشيعة في صريا بالمدينة فقد انعقد

(1) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 3/ 489.

اجتماع مثله في بغداد في منطقة بركة زلزل قرب الكرخ في منزل عبد الرحمن بن الحجاج وقد ضم عدداً من أعيان أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام، وتناقشوا في أمر الشيعة وإمامتهم بعد شهادة الرضا عليه السلام، وكان منهم يونس بن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن الحجاج (صاحب المنزل) والريان بن الصلت وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم، وربما طرح بعضهم في هذا الاجتماع مسألة صغر سن الإمام الجواد وكيف يتقبل الناس هذا مع ما عهدوه من الأئمة السابقين، ولا سيما مع موقع الإمامة وصلاحيات الإمام وعصمته.. واستقر الرأي على أن يتم التوجه إلى المدينة خصوصًا وأن الناس مقبلون على الحج، إذ كانت شهادة الإمام الرضا في شهر صفر، ونحن نفترض أن هذا الاجتماع كان قبل استقدام المأمون للإمام الجواد في سنة 204 هـ.

وقد نقلها الطبري الإمامي في دلائل الإمامة بنحو آخر هو التالي:

«فلما مضى الرضا عليه السلام وذلك في سنة اثنتين ومائتين، وسِنُّ أبي جعفر عليه السلام ستُّ سنين وشهور واختلف الناس في جميع الأمصار، اجتمع الريان بن الصلت، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعة من

وجوه العصابة، في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلزل، يبكون ويتوجعون من المصيبة، فقال لهم يونس: دعوا البكاء مَن لهذا الأمر يفتي بالمسائل إلى أن يكبر هذا الصبي يعني أبا جعفر عليه السلام، وكان له ست سنين وشهور، ثم قال: أنا ومَن مثلي!

فقام إليه الريان بن الصلت فوضع يده في حلقه، ولم يزل يلطم وجهه ويضرب رأسه، ثم قال له: يا ابن الفاعلة، إن كان الأمر من الله جل وعلا، فابن يومين مثل ابن مائة سنة، وإن لم يكن من عند الله، فلو عَمَّر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة عليهم السلام أو ببعضه. أوَهَذا مما ينبغي أن ينظر فيه؟ وأقبلت العصابة على يونس تَعْذله»!

هل تصح هذه الرواية؟

وبعد غضّ النظر عن سندها سواء قلنا بأنها مرسلة كما رآه السيد الخوئي، أو حتى إذا قلنا هي جزء من رواية سابقة مسندة، فهذا السند غير تام لضعفه بأكثر من راوٍ فهناك ملاحظات على هذه الرواية:

1/ ما يرتبط بالتاريخ فإنها قررت أن شهادة الإمام الرضا في سنة 202 هـ والصحيح أنها كانت في سنة 203 هـ، وبتبع ذلك فقد أخطأت في ذكر عمره الشريف، حيث قال الراوي: أنه كان

ست سنين وشهور والصحيح أنه كان حينها ابن تسع سنين بمفاد رواية الواسطي[1]. وما يقرره التاريخ الدقيق لولادة الإمام الجواد وشهادة أبيه الرضا عليهما السلام.

2/ إن مقام يونس بن عبد الرحمن[2] ومعرفته بالإمامة هي أسمى ممن ذكر في ذلك الاجتماع بمن فيهم الريان بن الصلت، ولا يتصور والحال هذه أن يكون قد خفي عليه معنى أن الإمامة الإلهية لا ترتبط بالضرورة بالعمر، ولذلك فقد رآها

(1) الكليني: الكافي1/ 432. قال علي بن حسان لأبي جعفر عليه السلام: يا سيدي إن الناس ينكرون عليك حداثة سنك، فقال: وما ينكرون من ذلك قول الله عز وجل، لقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى، فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين.

(2) الخوئي؛ أبو القاسم: معجم رجال الحديث 21 / 210 في ترجمة يونس نقل قول النجاشي: «يونس بن عبد الرحمن، مولى علي بن يقطين بن موسى، مولى بني أسد، أبو محمد: كان وجها في أصحابنا متقدمًا، عظيم المنزلة، ولد في أيام هشام بن عبد الملك، ورأى جعفر بن محمد عليه السلام بين الصفا والمروة ولم يرو عنه، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، والرضا عليه السلام، وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفتيا، وكان ممن بُذِل له على الوقف (يعني لكي يؤيد الواقفية) مال جزيل، فامتنع من أخذه وثبت على الحق.

وبعد أن نقل عن الكشي أيضًا الروايات المادحة ليونس مثل: ما عن عبد العزيز بن المهتدي قال: سألت الرضاعليه السلام فقلت: إني لا ألقاك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ قال: خذ عن يونس بن عبد الرحمن.

وما عن جماعة من: أن الرضا عليه السلام ضمن ليونس الجنة ثلاث مرات.

وما عن أحمد بن أبي خلف قال: كنت مريضا فدخل عَليَّ أبو جعفر عليه السلام يعودني عند مرضي، فإذا عند رأسي كتاب يوم وليلة، فجعل يصفح ورقه حتى أتى عليه من أوله إلى آخره، وجعل يقول: رحم الله يونس، رحم الله يونس، رحم الله يونس.

بعد ذلك رد وفند الروايات التي ظاهرها الذم له.. فراجع.

وكذلك لمن أراد التفصيل عن حياته فليرجع إلى كتابنا: رجال حول أهل البيت ج 2.

السيد الخوئي «أنها معلومة الكذب وذلك فإن يونس بن عبد الرحمن كان من المشاهير، فلو أنه تكلم بمثل هذا الكلام في جماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم، لشاع الخبر وذاع»[1] ولا سيما عند الواقفية الذين كانوا لا يزالون على عنادهم وينتظرون مثل هذه المواقف لتخريب بناء الإمامة.

3/ كما أننا لا نفهم موقف الريان بن الصلت بناء على هذا النص في أنه يشتمه بأنه «ابن الفاعلة» وهو قذف صريح يستوجب الحدّ![2] ولا نعتقد أن مثل هذا الكلام يصدر منه مع جلالة شأنه، في حق يونس الذي هو الآخر عظيم الشأن!

وعلى أي حال فقد تمهد أمر الإمامة للإمام الجواد، وإن لم يكن بالسهولة التي تمت لأجداده، ولكن كما كان لأبيه الرضا معاناة مع الواقفية فإنه أيضًا عانى معهم ومع غيرهم ممن شكك في الأمر، وقد يأتي لنا حديث في موضوع إمامته ومواقف معاصريه منها.

وبعد سنة تقريبًا من شهادة الإمام الرضا عليه السلام، استقدم المأمونُ

(1) الخوئي: معجم رجال الحديث21/ 226.

(2) وربما لهذه الجهة فإن الحسين بن عبد الوهاب قد روى الخبر في عيون المعجزات / 109 من دون أن يكون فيه شتم الريان ليونس بن عبد الرحمن، كما نقل عنه الشيخ علي الكوراني في كتابه الإمام محمد الجواد عليه السلام ص 55.

العباسيُّ الذي انتقل إلى بغداد من خراسان منتصف صفر سنة 204 هـ، الإمامَ الجوادَ وأشخصه إلى بغداد في نفس تلك السنة!

وكان المأمون لا يزال يواجه غضبة البيت العباسي التي زادت بقتله لأخيه الأمين وكانوا يفضلونه على المأمون، ولعب الصراع القومي دوره حيث كان حاشية الأمين وأركان حكمه من العرب بعكس المأمون الذي أحاط به ونصره الفرس، إضافة إلى أم الأمين العربية وأم المأمون الفارسية، وزاد غضبهم عندما أعلن عن تولية الإمام الرضا ولاية عهده في إشارة تهديد إلى أنهم ما لم يتراجعوا عن مواقفهم فإنه سينقل الحكم إلى البيت العلوي الهاشمي منافسهم التاريخي!

فلا يزال المأمون يلعب على هذا الوتر، إذ بعدما تخلص من الإمام الرضا بالشكل الذي بيّناه في موضعه، رأى أن يستقدم الإمام الجواد وأن يقربه منه، فيحقق أهدافًا متعددة كما صنع بالنسبة للإمام الرضا وأشرنا إليها في الكتاب المذكور[1].

يفترض أن الإمام الجواد عليه السلام قد استقدمه المأمون العباسي في نفس هذه السنة 204 هـ.

(1) راجع ذلك بشكل مفصل في كتابنا: عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

بطبيعة الحال فإن البيت العباسي المناصر لأخيه الأمين، كان ينتهز كل فرصة لمواجهة المأمون إما لإضعافه أو لإجباره على مزيد من التنازلات، وكأنه يلوح بورقة إما أن تعطينا امتيازات كما كنا نتوقع من الأمين، وإما أن نعرقل أمرك.. فأشهر هؤلاء مرة أخرى مخالفتهم لتقريب الإمام الجواد بزعم أنهم ما صدقوا أن ينتهي أمر أبيه الرضا حتى ابتلاهم بالابن محمد الجواد[1].

في مقابل ذلك كان المأمون يستفيد من تقريبه الأئمة عليهم السلام، في الضغط على العباسيين المخالفين له، وكأنه يقول لهم: إن لم تستقيموا معي سأقرب أعداءكم وأمكنهم من الخلافة! وفي هذا المجال أقدم على تزويج الإمام الرضا من ابنته وعلى توليته عهده، إلى أن قتله بالسم. وأيضًا قام بنفس العمل عندما زوج ابنته

(1) المفيد: الإرشاد 2/ 281 عن الرّيان بن شبيب (وهو أخو ماردة أم المعتصم زوجة هارون فهو شاهد عيان من داخل البيت العباسي وهو في الوقت نفسه من أصحاب الإمام الرضا والجواد) قال: لمّا أراد المأمون ان يزوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام بلغ ذلك العبّاسيين، فغلظ عليهم واستكبروه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى إليه مع الرّضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه.
فقالوا: ننشدك الله يا أمير المؤمنين ان تقيم على هذا الأمر الّذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإنا نخاف أن تخرج به عنّا أمرًا قد ملّكناه الله، وتنزع منّا عزّا قد ألبسناه، فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديمًا وحديثًا، وما كان عليه الخلفاء الرّاشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتّى كفانا الله المهمّ من ذلك؟ فالله الله ان تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا، واصرف رأيك عن ابن الرّضا، واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

أم الفضل ـ زينب ـ للإمام الجواد، وكان هذا في هذه السفرة، حيث تمَّ عقده عليها.

وقد كان اعتراض العباسيين على المأمون في تقريبه الإمام محمدًا الجواد، كاعتراضهم عليه في تولية أبيه الرضا العهد، لكنهم هنا زادوا سببًا على التخوف من انتقال الخلافة إلى البيت الطالبي العلوي، وذلك السبب هو عدم أهلية ابن الرضا نظرًا لصغر سنه كما قالوا بذلك، فإنه لما يصل العاشرة من العمر عندما وصل إلى بغداد في سنة 204 هـ، ومثل هذه السن لا تؤهله إلا لما كان معهودًا من الصبيان! فلينتظر ـ في أحسن الأحوال ـ به حتى يكبر ويتعلم ويدرس المعارف الدينية ثم يكون لكل حادث حديث!

وليبرهنوا على عجزه وعدم قابليته فقد طلبوا من يحيى بن أكثم القاضي أن يمتحنه في مجلس حتى يتبين للمأمون ورجال الدولة سلامة موقفهم ويكون حجة لهم في طلب إبعاد الإمام عن الصدارة.

وأعتقِدُ أن المأمون كان على قناعة بإمكانيات الإمام الجواد العلمية، كما كانت إمكانيات آبائه، إذ لم يكن المأمون بعيدًا عن المعرفة بهذا الجانب من أئمة أهل البيت عليهم السلام بل إن كثيرًا من

الخلفاء العباسيين كانوا يقرون في دواخل أنفسهم بتميز آل محمد على غيرهم من الفقهاء.

ومع ذلك أظن أن المأمون لم يكن يبالي على أيهما دارت الدائرة فهو مستفيد في الحالين، وسواء أغلب يحيى بن أكثم أو غلب الإمام الجواد، فهو رابح!

وجرت المناظرة الأولى: عندما سأل يحيى بن أكثم القاضي الإمام محمدًا الجواد بقوله: ما تقول في محرم قتل صيدًا؟ فأجابه الإمام بتشقيق السؤال إلى نحو عشرين فرعًا.. سوف نأتي على ذكرها وذكر اجوبتها في الفصل الخاص بدوره العلمي صلوات الله عليه.

بعد هذه المناظرة تمَّ عقد الإمام الجواد على ابنة المأمون زينب ـ أم الفضل ـ وقد نقل المؤرخون خطبة العقد التي أنشأها الإمام عليه السلام، ثم إيجاب المأمون عقد النكاح له وتوليه تزويجه ابنته، وموافقة الإمام عليه السلام على ذلك.

ويحتمل أنه في هذه الفترة أيضًا تمَّ عقد مجلس المناظرة الثاني والذي بيّنَ فيه الإمام بطلان ووضع قسم من الأحاديث التي صيغت على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في فضائل أعلام مدرسة الخلفاء ورموزهم وقد ناقشها الإمام عليه السلام بكل دقة وهدوء، مع

كونها بطبيعتها تثير التشنج والمشاكل، وسنأتي على ذكرها في موضوع دوره العلمي.

فقد سأله يحيى بن أكثم في حضور كثير من العلماء عن هذه الأسئلة:

1/ ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي أنه نزل جبرئيل على رسول الله وقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راض فإني عنه راض.

2/ وقد روي أن مَثَل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل عليهما السلام في السماء.

3/ وقد روي أيضًا أنهما سيدا كهول أهل الجنة، فما تقول فيه؟

4/ وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة؟

5/ وقد روي أن السكينة تنطق على لسان عمر؟

6/ وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو لم أبعث لبعث عمر؟

7/ وقد روي أيضًا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما احتبس عني الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب!

8/ روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر؟

ونحن لا نعلم هل كانت هذه الأسئلة باتفاق بين يحيى بن أكثم القاضي وبين المأمون العباسي أو ليست باتفاق بينهما، ولكن المعلوم أن هذه الأسئلة كانت «حقل ألغام» فإن وافق الإمام على مضمونها ولو تقية، فإنه سيطار بها في كل مكان بأن إمام الشيعة وسيد بني هاشم في زمانه قد أقر بها وصدق مضمونها!

وإن عارضها بشكل حاد أو تهجم على رواتها أو مضامينها فهذا طريق سهل لاستثارة الناس عليه وتعبئتهم ضده حيث أنه يسب خليفة النبي وصاحبه الفاروق وهذا ما يسهل إسقاطه الاجتماعي بل قد يبرر عند بعضهم قتله! لكن أجوبة الإمام العلمية الهادئة قد نقضت غزل القاضي، وأبطلت عليه ما كان يروم، ولعلك عزيزي القارئ تتأمل بعمق في أجوبة الإمام التي سنأتي على ذكرها في موضعها! حيث نفى فيها كل هذه الفضائل المزعومة بأدلة قرآنية وعقائدية متينة وبلغة راقية.

بعد هذه المحاورات وبعد أن عقد له المأمون على ابنته التي يظهر أن الإمام عليه السلام لم يدخل بها، ويظهر أن زواجه بها لم يكن برغبته التامة، وإنما استجاب لذلك لطلب المأمون ولكيلا تحسب عليه كمخالفة للخليفة ورغبة عن مصاهرته، ولا نعلم إن كانت أم الفضل بنت المأمون قد رغبت في الإمام عليه السلام بداية

الأمر أو لا، لكن نهايات أمرها لا تفيد هذا المعنى كما أن البيئة التي عاشت فيها وهي بيئة مترفة عابثة في الغالب لا تساعد على أن ترغب في مثل بيئة الإمام الجواد عليه السلام.

10/ وعاد الإمام الجواد عليه السلام إلى المدينة المنورة بعدها، ولم يصطحب معه زوجته بنت المأمون، وسيتعين عليها أن تنتظر سنوات حتى تزف إليه في بغداد. ويأتي الحديث عن هذا ربما في فصل حياته الأسرية.

من نهايات سنة 204 هـ أو ربما 205 هـ وبعد رجوعه من بغداد إلى المدينة المنورة وإلى سنة 214 هـ ستكون المدينة المنورة محور نشاط الإمام العلمي والتبليغي.

وقد واجه الإمام الجواد عليه السلام مواقف متنكرة لإمامته، وأخرى متسائلة تطلب الهداية، وثالثة حائرة.. ولكن الإمام عليه السلام تعامل مع كل فريق بما يقتضيه حاله وهدفه.. وسيأتي الحديث عن مواقف الناس تجاه إمامته في صفحات لاحقة.

ونظرًا لإقامته الدائمة في المدينة وكون التشيع لأهل البيت قد انتشر في البلاد الإسلامية المختلفة، فكان لا بدَّ من اعتماد طريقة المكاتبة في الإجابة على الأسئلة المختلفة التي ترده من خارج المدينة وكان يأتي بها في الغالب من يأتي للحج أو

العمرة وزيارة قبر النبي ﷺ. وهذه الملاحظة وجدناها في حياة الإمام الرضا عليه السلام، ولمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة كتاب موسوعة مكاتيب الأئمة. وفي موسوعة الإمام الجواد حيث نقل أكثر من 60 كتابًا ورسالة متنوعة. «منها إلى وكلائه، ومنها إجابات لأشخاص، ومنها رسائله لأبيه الرضا عليه السلام ورسالته إلى ابنه الهادي عليه السلام»[1] ومنها إلى أشخاص ذكرهم بأسمائهم.

وبالرغم من أن بعض العلماء احتملوا عدم حجية المكاتبَات لإمكان ابتنائها على التقية (حيث أنها ستعتبر وثيقة بخط الإمام)، إلا أن الرأي المشهور والمنصور هو أن حال المكاتبات كحال المشافَهات، وأن حملها على التقية لا بدَّ له من قرائن ومبررات، وهذه القرائن كما قد توجد في المكاتبات قد توجد في المشافهات. ولذلك يستدل بالمكاتبات مشهور العلماء من غير توقف بعد سلامة سندها.

ما نستفيده بشكل عام من المكاتبات:

قد نستفيد من هذه المكاتبات إشارة إلى انتشار التشيع في المناطق المختلفة من العالم الإسلامي، بل ربما كان بعض أمراء وولاة الولايات أو المناصب شيعة لأهل البيت عليهم السلام، وربما لم يكن

(1) الكوراني؛ الشيخ علي: الإمام محمد الجواد عليه السلام 292.

المعصومون قد وجهوهم إلى ذلك كما كان الحال في مثل ابن يقطين ونظرائه، ومع ذلك كانوا يدينون بالولاء لآل محمد ففي الرواية التي نقلها الكليني حول رجل من أهالي أفغانستان طلب من الإمام شفاعته في حط والي تلك المنطقة ما عليه.. وفعل الإمام ذلك له[1].

وكذلك يستفاد نفس الأمر من توجيه بعض شيعة الإمام من طرسوس (بلاد الشام) هدية إلى خيران الخادم الذي كان وكيله في بغداد كما يظهر، وتوجيه خيران تلك الهدية للإمام.

(1) الصالحي النجف آبادي؛ الشيخ عبد الله: موسوعة مكاتيب الأئمة1/ 314 وقد نقل عن كافي الكليني أن رجلًا من بني حنيفة من أهل بست وسجستان (في أفغانستان الحالية) قال: رافقت أبا جعفر عليه السلام في السنة التي حجّ فيها في أوّل خلافة المعتصم، فقلت له وأنا معه على المائدة، وهناك جماعة من أولياء السلطان: إنّ والينا جعلت فداك! رجل يتولاّكم أهل البيت، ويحبّكم، وعليّ في ديوانه خراج، فإن رأيت جعلني الله فداك، أن تكتب إليه كتابًا بالإحسان إليّ؟.
فقال لي: لا أعرفه.
فقلت: جعلت فداك! إنّه على ما قلت: من محبّيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني عنده.
فأخذ القرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّ موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهبًا جميلًا، وإنّ مالك من عملك ما أحسنت فيه، فأحسن إلى إخوانك، واعلم أنّ الله عزّ وجلّ سائلك عن مثاقيل الذرّ والخردل.
قال: فلمّا وردت سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن عبد الله النيسابوري، وهو الوالي، فاستقبلني على فرسخين من المدينة، فدفعت إليه الكتاب، فقبّله ووضعه على عينيه، ثمّ قال لي: ما حاجتك؟
فقلت: خراج عليَّ في ديوانك.
قال: فأمر بطرحه عنّي، وقال لي: لا تؤدّ خراجًا ما دام لي عمل، ثمّ سألني عن عيالي، فأخبرته بمبلغهم، فأمر لي ولهم بما يقوتنا وفضلًا، فما أدّيت في عمله خراجًا ما دام حيًّا، ولا قطع عنّي صلته حتّى مات.

وأما قم والأهواز وبلاد الجبل فمن الواضح انتشار التشيع فيها ويشير إلى ذلك وكلاؤه فيها. هذا فضلاً عن مثل بغداد، والكوفة، والبصرة، وهمدان، والري.

وكذلك كان لا بدَّ من اعتماد نظام الوكالة عن الإمام عليه السلام فانتشر وكلاؤه ونوابه في أنحاء البلاد الإسلامية.

وكلاؤه ونوابه في البلاد:

بالرغم من أننا قد ذكرنا نبذة عن بعض أصحابه عليهم السلام في كتابنا رجال حول أهل البيت ج 2؛ وأشرنا إلى ما قاموا به من أدوار وكذلك في كتاب نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية الذي يتناول أدوار الوكلاء وأعمالهم وتعرضنا لبعض وكلائه عليهم السلام، إلا أننا هنا أيضًا نشير لبعض الأسماء.

فمنهم: **إبراهيم بن محمد الهمداني**[1]، وكان قد توكل له

(1) قد ذكره العلامة محمد علي الأردبيلي في جامع الرواة1/ 47 فقال عنه: إبراهيم بن محمد الهمداني، من أصحاب الرضا والجواد والهادي؛ وكيل الناحية كان حج أربعين حجة كما في الخلاصة ويأتي عن رجال الكشي توثيقه في أحمد بن إسحاق وروى توكيله وجلالة قدره في توقيع عن علي بن محمد عن محمد بن أحمد عن عمر بن علي بن عمر بن يزيد عن إبراهيم بن محمد الهمداني.
أقول: يستفاد من بعض مكاتباته أن بيئته التي عاش فيها أولًا لم تكن بيئة موالية، ولذلك كان يخشى على بناته من التزويج وأنه قد لا يجد الكفوء، فكتبتُ ـ يقول ـ إلى أبي جعفر عليه السلام في التزويج؟
فأتاني كتابه بخطّه عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه، فزوّجوه، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[الأنفال: 73].
وقد روى وروي عنه الكثير من الروايات في أبواب مختلفة.

بهمدان بعد أن توفي يحيى بن (أبي) عمران الهمداني، فإنه عليه السلام كتب لإبراهيم كتابًا وأمره أن لا يفتحه إلا بعد ما يموت يحيى، فمكث الكتاب معه سنتين أو أكثر حتى توفي يحيى فعندها فتحه وإذا به يأمره بأن يقوم مقام يحيى في الوكالة ويمارس ما كان يمارسه.

وقد أخبر سائر الوكلاء بأن يطيعوا أوامره وأن لا يتعرضوا لخلافه، وقد أثنى عليه الإمام في رسائله له[1].

ومنهم خيران الخادم: يظهر أنه كان وكيلًا له في بغداد وقد جاءت إليه من طرسوس ـ بلاد الشام ـ هدايا وأرسل للإمام عليه السلام رسالة يستفتيه فيها.

ومنهم زكريا بن آدم القمي: وكان وكيله في قم وأطرافها وكان من المنزلة الرفيعة بحيث أن الإمام عليه السلام أكثر من ذكره والترحم عليه في مناسبات كثيرة، فمن ذلك ما قاله أبو طالب القمي قال:

(1) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)2/ 453
عن إبراهيم بن محمد الهمداني، قال وكتب (الإمام الجواد) إلي: قد وصل الحساب تقبل الله منك ورضي عنهم وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة وقد بعثت إليك من الدنانير بكذا ومن الكسوة كذا، فبارك لك فيه وفي جميع نعمة الله عليك.
وقد كتبت إلى النضر أمرته أن ينتهي عنك، وعن التعرض لك وبخلافك، وأعلمته موضعك عندي، وكتبت إلى أيوب أمرته بذلك أيضًا، وكتبت إلى موالي بهمدان كتابًا أمرتهم بطاعتك والمصير إلى أمرك وأن لا وكيل لي سواك.

دخلت على أبي جعفر الثاني في آخر عمره فسمعته يقول جزى الله صفوان بن يحيى، ومحمّد بن سنان، وزكريا بن آدم وسعد بن سعد عني خيرًا فقد وفوا لي، وكان زكريا بن آدم ممن تولاهم، وخرج فيه عن أبي جعفر عليه السلام: ذكرت ما جرى من قضاء الله في الرجل المتوفى، تعالى يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّا.

فقد عاش أيام حياته عارفًا بالحق قائلًا به صابرًا محتسبًا للحق قائمًا بما يجب لله ولرسوله عليه، ومضى غير ناكث ولا مبدل فجزاه الله اجر نيته وأعطاه جزاء سعيه[1].

11/ هل مرَّ عليه المأمون العباسي وهو يلعب في الطريق؟

نقل ابن شهر آشوب (ت 588 هـ) في كتابه المناقب ـ والظاهر أنه أول من نقلها حيث لم نعثر عليها في كتاب قبله ومن جاء بعده نسبها إليه واعتمد فيها عليه ـ رواية تشير إلى لقاء المأمون في بغداد ـ كما هو ظاهر الرواية ـ وأن الإمام الجواد كان بين صبيان في الطريق فهرب أولئك بينما بقي الإمام الجواد، حتى إذا عاد المأمون من الصيد وهم لا يزالون ومعهم الإمام سأله بعض الأسئلة وأجاب عنها الإمام بنحو أذهل المأمون!

(1) مسند الإمام الجواد عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي، ص 137.

ونص ما نقله ابن شهر آشوب هو التالي:

«اجْتَازَ الْمَأْمُونُ بِابْنِ الرِّضَا عليه السلام وَهُوَ بَيْنَ صِبْيَانٍ فَهَرَبُوا سِوَاهُ فَقَالَ: عَلَيَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ مَا هَرَبْتَ فِي جُمْلَةِ الصِّبْيَانِ، قَالَ: مَا لِي ذَنْبٌ فَأَفِرَّ وَلَا الطَّرِيقُ ضَيِّقٌ فَأُوَسِّعَهُ عَلَيْكَ تَمُرُّ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ: مَنْ تَكُونُ؟ قَالَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام، فَقَالَ: مَا تَعْرِفُ مِنَ الْعُلُومِ؟ قَالَ: سَلْنِي عَنْ أَخْبَارِ السَّمَاوَاتِ. فَوَدَّعَهُ وَمَضَى وَعَلَى يَدِهِ بَازٌ أَشْهَبُ يَطْلُبُ بِهِ الصَّيْدَ فَلَمَّا بَعُدَ عَنْهُ نَهَضَ عَنْ يَدِهِ الْبَازُ فَنَظَرَ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ لَمْ يَرَ صَيْدًا وَالْبَازُ يَثِبُ عَنْ يَدِهِ فَأَرْسَلَهُ وَطَارَ يَطْلُبُ الْأُفُقَ حَتَّى غَابَ عَنْ نَاظِرِهِ سَاعَةً ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَقَدْ صَادَ حَيَّةً فَوَضَعَ الْحَيَّةَ فِي بَيْتِ الطُّعَمِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ دَنَا حَتْفُ ذَلِكَ الصَّبِيِّ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى يَدَيَّ، ثُمَّ عَادَ وَابْنُ الرِّضَا فِي جُمْلَةِ الصِّبْيَانِ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاوَاتِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ عَنِ النَّبِيِّ عَنْ جَبْرَئِيلَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْهَوَاءِ بَحْرٌ عَجَاجٌ يَتَلَاطَمُ بِهِ الْأَمْوَاجُ فِيهِ حَيَّاتٌ خُضْرُ الْبُطُونِ رَقْطُ الظُّهُورِ وَيَصِيدُهَا الْمُلُوكُ بِالْبُزَاةِ الشُّهْبِ يَمْتَحِنُ

بِهَا الْعُلَمَاءَ، فَقَالَ: صَدَقْتَ وَصَدَقَ آبَاؤُكَ وَصَدَقَ جَدُّكَ وَصَدَقَ رَبُّكَ فَأَرْكَبَهُ ثُمَّ زَوَّجَهُ أُمَّ الْفَضْلِ»[1].

وقد نقل هذه الحادثة ابن طلحة الشافعي (ت 652) أي بعد ابن شهرآشوب بنحو 64 سنة، في كتابه مطالب السؤول[2] مع تعديل فيها وتغيير وزيادة؛ أما التغيير فيها فإنه بدلًا مما كان مذكورًا: أنه سأله عن أخبار السماوات، وأن الإمام روى له عن آبائه عن جبرئيل عن رب العالمين.. وجود بحر عجاج بين السماء والهواء، وأن فيه حيات خضرا.. الخ؛ فإن هذه كلها اختصرت بالقول «فألهمه الله عز وجل أن قال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكًا صغارًا تصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبرون بها سلالة أهل النبوة».

وأما الزيادة فقد قال: إنه كان في بغداد وأن عمره كان حينها إحدى عشرة سنة، ونقلها عن ابن طلحة الشافعي ابنُ الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة[3] بنصها لكنه قال إن عمره حينها كان تسع سنوات.

(1) ابن شهر آشوب: المناقب 4/ 388.
(2) ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول 468.
(3) ابن الصباغ؛ علي بن محمد أحمد المالكي: الفصول المهمة في معرفة الأئمة 2/ 361.

ومن بعد هذه الفترة وجدنا الحادثة قد انتشرت في كتب الفريقين بشكل كبير، فرأيناها في أكثر الكتب التي تحدثت عن سيرة الإمام الجواد ومناقبه في كتب الإمامية[1] وفي كتب مدرسة الخلفاء. وكل ينقلها بالطريقة التي تتوافق مع مسلماته العقدية زيادة ونقيصة وتغييرا[2].

ويمكن تسجيل هذه الملاحظات على الحادثة المنقولة وقد أشار لبعضها الشيخ الكوراني[3] مع أنه لم يرَ أن هذه الملاحظات تنتهي إلى ردها:

الأولى: ما أشار إليه في كتابه الإمام محمد الجواد بقوله: «يَرِدُ عليها أنها مرسلة، لكن الإرسال يوجب التوقف فيها، ولا يوجب ردها»!

ونقول هذا صحيح لو كان كل الإشكال هو هذا! أما لو خالفت حقائق تاريخية أو عقدية حتى! فعندئذ لا مانع من عدم قبولها.

(1) في كشف الغمة في معرفة الأئمة 3/ 135 لعلي بن أبي الفتح الإربلي (ت 693 هـ) بنص مشابه لنص ابن طلحة الشافعي. والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، (ت 974)، والبحار للعلامة المجلسي (ت 1111) وحلية الابرار للبحراني (ت 1107) ورياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار عليهم السلام 2/ 444 للسيد نعمة الله الجزائري (ت 1112) ونقلها عنهم من تأخر عنهم.

(2) العجيب ان المحدث الشيخ عباس القمي في منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل عليهم السلام 2/ 528 أعرض عن القسم الأخير من الحادثة بنقل ابن شهر آشوب، ونقلها كما وردت في نقل ابن طلحة الشافعي فقال: فأنطقه الله تعالى بأن قال: انّ الله تعالى خلق في بحر قدرته المستمسك في الجو ببديع حكمته سمكا صغارًا تصيدها بزاة الخلفاء كي يختبر بها سلالة بيت المصطفى.

(3) الكوراني العاملي؛ علي: الإمام محمد الجواد 121.

ويلاحظ أن الحادثة ليس لها سَنَد لا من طريق الإمامية ولا من طريق غيرهم! بأي درجة من الدرجات كان ذلك السند.

الثانية: ما قاله أيضًا «ويَرِدُ عليها أنها تفرض أن المأمون لم يكن يعرف الإمام الجواد عليه السلام، مع أنه كان يعرفه جيدًا، وقد سمى له ابنته في حياة أبيه وهو طفل، ثم أحضره إلى بغداد وتحدى به العباسيين وناظرهم، وأقام له مراسم تاريخية لعقد زواجه». أقول هو إشكال وارد وصحيح.

الثالثة: وقد ذكره «ويَرِد على الرواية أنها نسبت إلى الإمام الجواد عليه السلام اللعب مع الصبيان، والمعصوم لا يلعب ولا يلهو».

أقول: هو من المسلمات عند الإمامية[1]، وقد انزعج الإمام

(1) ولهذا فقد رد بعض العلماء روايات لاشتمالها على نسبة اللعب للإمام فلاحظ ما ذكره الشيخ محمد تقي التستري في الأخبار الدخيلة1/ 103 حيث قال في رد أحد الأخبار إنه: تضمّن لعب الحجّة عليه السلام مع أنّ من علائم الإمام عليه السلام عدم لعبه ففي خبر صفوان الجمّال «أنّه سأل الصادق عليه السلام عن صاحب هذا الأمر فقال: إنّه لا يلهو ولا يلعب، وأقبل أبو الحسن موسى عليه السلام وهو صغير ومعه عناق مكّيّة وهو يقول لها: «اسجدي لربّك» فأخذه أبو عبد الله عليه السلام وضمّه إليه وقال: بأبي وامّي من لا يلهو ولا يلعب».
وفي صحيح معاوية بن وهب أنّه سأل الصادق عليه السلام عن علامة الإمامة، فقال:
«طهارة الولادة، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب».
وفي إثبات المسعودي والكتاب المعروف بدلائل الطبريّ في خبر مشتمل على خروج جماعة إلى الجواد عليه السلام بعد وفاة أبيه لامتحانه ومنهم عليّ بن حسّان الواسطيّ وأنّه حمل معه من آلات الصبيان أشياء مصاغة من الفضّة بقصد الإهداء والإتحاف إليه عليه السلام لطفوليّته، قال: فنظر إليّ نظر مغضب، ثمّ رمى به يمينًا وشمالًا، وقال:
ما لهذا خلقنا الله، فاستقلته واستعفيته فعفا، وقام فدخل وخرجت ومعي تلك الآلات...الخبر».

الجواد عليه السلام نفسه من علي بن حسان الواسطي الذي يقول: «حملت معي إليه من الآلة التي للصبيان (للعبهم) بعضها من فضة، وقلت: أُتحف مولاي أبا جعفر بها. فلما تفرّق الناس عنه بعد جواب الجميع قام فمضى إلى صريّا واتّبعته، فلقيت موفقًا، فقلت: استأذن لي على أبي جعفر، فدخلتُ فسلّمت، فردّ عليَّ السلام وفي وجهه كراهة، ولم يأمرني بالجلوس، فدنوت منه وفرّغت ما كان في كمي بين يديه، فنظر إليَّ نظر مغضب، ثم رمى يمينًا وشمالًا، ثم قال: (ما لهذا خلقني الله، ما أنا واللعب؟!) فاستعفيته، فعفا عني».

فمن العجيب أنه حفظه الله لم ير مثل هذه المخالفة العقدية لشؤون الإمامة كافية لرد الرواية!

ومحاولات البعض في تصحيح الحادثة بأن الإمام لم يكن يلعب ولا أنه كان في الطريق يتفرج وإنما كان يتحين لقاء المأمون[1] فانتظره في الطريق! هي نفسها إقرار بالمأزق الموجود في الرواية، ولم يتم علاجه بهذا أيضًا! فإنها لا تحل مشكلة عدم معرفة المأمون به، ولا تحل مشكلة أن الإمام لم يكن في بغداد إلا بعد أن استقدمه المأمون وطلبه إليه وكان عارفًا به! فهل يحتاج أن يتحين فرصة اللقاء به بانتظاره في الطريق حين يخرج للصيد؟

(1) نقل في موقع تبيان.نت: يبدو أن الإمام أبا جعفر عليه السلام استغل فرصة خروج المأمون ومروره بالقرب من منازلهم، فوقف بإزاء صبيان يلعبون في الطريق؛ ليتم هنالك اللقاء...

الرابعة: أن جو الحادثة ـ على نقل ابن شهر آشوب ـ وتصريح ابن طلحة يشير إلى أن الحادثة كانت في بغداد، ولم يأت الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد إلا بعد شهادة أبيه وتوليه الإمامة، وقد استقدمه المأمون، فهل يناسبه والحال هذه أن يكون في الشارع مع الصبيان؟ سواء كان يلعب معهم أو كان يتفرج عليهم كما حاول بعضهم أن يرتب الحادثة؟ وكذلك ما فرض في الروايات على اختلافها بأن المأمون ذهب للصيد ورجع ولا يزال الصبيان يلعبون في هذا الشارع ومعهم الإمام الجواد واقف أو يلعب فكم يستغرق الذهاب للصيد والعودة منه من الوقت، ولا يزال الشارع يحتضن هؤلاء الصبيان والإمام واقف معهم؟

ومحاولة[1] تصحيح الأمر بأنه لعل الحادثة كانت في المدينة لأن الإمام الجواد لم يسكن في بغداد وهو صبي، كذلك ليست ناجحة لأن المأمون لم يعرف عنه أنه ذهب إلى المدينة في تلك الفترة حتى يلتقي بالإمام الجواد فيها وهو خارج للصيد.

الخامسة: وجدنا تعثرًا في توصيف المأمون للإمام الجواد بحسب الرواية المذكورة؛ فبينما هو لا يعرفه في البداية وإنما يسأل عن اسمه، فإذا به بعد ذلك يقول: لقد دنا حتف هذا الصبي! وإذا به بعد ذلك يسأله عن أخبار السماوات؟ ولما أخبر

(1) الكوراني: الإمام محمد الجواد عليه السلام 121.

المأمون بوجود بحر عجاج متلاطم بين السماء والهواء فيه حيات خُضر البطون رُقط الظهور.. فإذا بالمأمون يسلم بذلك ويقبله من دون أن يسأله على ذلك برهانًا! وكأن المأمون أحد الإمامية الذين لا يتطرق إليهم الشك فيما يقوله إمامهم!

السادسة: ما أعرض عن ذكره المحدث الشيخ عباس القمي وأغفله مع أنه في أصل رواية ابن شهرآشوب من ذكر البحر العجاج المتلاطم السابق الذكر، وهو الأمر الغريب على مسلكه هو حيث ينحو منحى المحدثين الأخباريين ومقتضى ذلك أن يلتزم بما جاء في رواية ابن شهر آشوب، لكنه تركها واستعاض عنها بما جاء في كتب العامة.. ولعله والله العالم لم يتعقل فكرة البحر المذكور!

وأظن أن محاولة الشيخ الكوراني -حفظه الله- في توجيه ما ذكرته رواية ابن شهر آشوب بقوله: «أما صيد البزاة سمكًا حيًا وميتًا من الهواء، فتفسيره أن عواصف الهواء تحمل الماء والسمك من البحر، وقد تلقيه على بعد مئات الكيلو مترات وقد قرأت ذلك في مصادر التاريخ، وفي عصرنا صوروا عنه أفلامًا» كذلك لا تنفع وذلك لأن الكلام ليس في وجود أسماك في الهواء أو على الأرض وإنما في وجود بحر بتلك الأوصاف، وبأن فيه حياتٍ خضرًا ولم يؤت على ذكر الأسماك إلا في رواية ابن طلحة أما رواية ابن شهرآشوب فلا ذكر فيها للسمك.

ولعل العلامة الكوراني لاحظ أن الرواية المذكورة يصعب الدفاع عنها، فأشار إلى أنه ربما لم يتقن الراوي رواية الحادثة أو زاد فيها.. فقال «وقد يكون المأمون سأل الإمام الجواد عليه السلام عن حادثة غريبة حدثت له في الصيد، فأخبره الإمام بإمكان وجود ماء البحر والسمك في السماء أحيانًا. فكانت كرامة له أنه عرف ما حدث للمأمون وفسره له، لكن الراوي لم يتقن رواية الحادثة، أو زاد فيها».

ونحن نعتقد أن الخرق (بل الخروق) فيها أكثر وأصعب من أن يتم ترقيعها!

هذا كله مع أن القسم الأول من الحادثة منقول بشكل آخر في مصادر مدرسة الخلفاء[1] وهو أن الخليفة عمر مرَّ على صبيان يلعبون ففروا خوفًا منه إلا عبد الله بن الزبير، ولما سأله عن سبب ذلك وأنه لماذا لم يفر كما فروا؟! قال له: بأنه لم يكن الطريق ضيقًا، وأنه لم يأت بذنب!

ومن الغريب أن تكون نفس الحادثة ونفس الحوار بالنص في قضيتين مع هذا الفارق الزمني؟ حوالي 190 سنة! فأيّهما دخلت على الأخرى؟

(1) أبي حيان التوحيدي ت 414: البصائر والذخائر، ج 4/ 71 ونثر الدر في المحاضرات 5/ 227 أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت 421)، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار، 2/ 47 الزمخشري (ت 538)، والتذكرة الحمدونية 7/ 219 ابن حمدون (ت 562)، ونقله في كتاب الأوائل، الشيخ محمد تقي التستري، ص 370 عن الأغاني.

مواقف تجاه إمامة الجواد عليه السلام

صيرورة الإمامة الإلهية للإمام محمد بن علي الجواد بعد أبيه علي بن موسى الرضا عليهما السلام كانت أمرًا متميزًا فلأول مرة في تاريخ الإمامية، منذ ما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى سنة 203 هـ أي نحو قرنين من الزمن يكون إمام الخلق صغيرَ السن بهذا المقدار (ابن ثمان سنين) في أول توليه الإمامة!

هذا الأمر جعل مواقف الناس والسلطة مختلفة تجاه الاعتقاد به، وقبول ذلك.

أما السلطة العباسية: فمن الواضح أنها لم تكن تعتقد بإمامته ولا بإمامة آبائه، ولكن مع ذلك كانت تسلّم لآبائه بالفضيلة العلمية[1]، وبالزعامة الاجتماعية لبني هاشم وللشيعة، وكانت تتعامل معهم على هذا الأساس.

(1) لقد استعان المنصور العباسي بأبي حنيفة ليأتي بأسئلة يعجز فيها الإمام جعفرًا الصادق عليه السلام فخرج معه بنتيجة أن الإمام جعفرًا هو أعلم الناس لأنه أعلمهم باختلافاتهم كما نقله المزي في التهذيب 5/ 79 والذهبي في سير أعلام النبلاء 9 / 543، وجرب الأمر ابنه المهدي العباسي مع الإمام موسى الكاظم عندما استقدم أبا يوسف ليناظر الإمام فما لبث أن غرقت سفينة أسئلته في بحر الإمام المواج، وعندها قال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئًا؟! فقال أبو يوسف: رماني بحجر دامغ. وجرب المأمون أن (يمتحن) الإمام الرضا في مؤتمر عالمي فإذا به يجيب أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الملل بما يؤمنون به! وها هو الإمام الجواد يكرر نفس المشهد الذي سبقه إليه آباؤه الكرام.

وهذا الأمر لم تُقرّ به بالنسبة للإمام الجواد، فباستثناء المأمون العباسي الذي سنأتي على ذكر موقفه بعد قليل، كان أركان البيت العباسي لا يرون للإمام الجواد فضيلة علمية وإنما يعتبرونه طفلًا كسائر الأطفال ينبغي أن يتعلم ويدرس في الكتاب وعلى يد العلماء الكبار حتى يشتد عوده وعندئذ يتعامل معه كما يتعامل مع العلماء.. ولذلك فإنهم قد احتجوا على المأمون عندما قربه وأراد تزويجه ابنته بهذا المعنى من أنه صغير السن ويحتاج إلى النضج[1]. وعندما لم يقبل منهم المأمون انتقاده لجأوا إلى (امتحان) الإمام بواسطة يحيى بن أكثم في القصة المشهورة.

ومع أن الإمام عليه السلام قد فاق يحيى بن أكثم أمامهم وأجاب على أسئلته وأعجز يحيى أن يجيب على أسئلته إياه، إلا أن ذلك وغيره لم يكن كافيًا ليعترفوا للإمام، كيف وهم لم يعترفوا لأبيه الإمام الرضا مع ظهور مناقبه ومعاجزه أمامهم ولمدة طويلة من الزمان؟!

وسرّ ذلك ـ لعله ـ ما عبر عنه المأمون نفسه ـ لو صحت نسبة الكلام إليه ـ من قوله لهم: أنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكان أولى بكم، وأما ما كان يفعله من كان قبلي بهم، فقد كان قاطعًا للرحم!

(1) قال العباسيون للمأمون في احتجاجهم على المأمون: إن هذا الصبي وإن راقك منه هديه، فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

إلا أن المحيّر عند البعض هو موقف المأمون العباسي من الإمام، فمن جهةٍ ها هو يناظر علمياً عن التشيع ويشيد بفضل أمير المؤمنين علي عليه السلام ويناظر علماء الاتجاه الرسمي في أن عليّاً بن أبي طالب هو الأفضل بعد رسول الله[1] بل ويعتقد ـ ولو نظريًا ـ أن أهل البيت قد خصهم الله بخصائص[2] لم توجد في غيرهم، وفي المقابل وجدناه يقتل الإمام الرضا عليه السلام بالسم؟[3] وربما لولا أن الإمام عليًّا الرضا قد أخبره بأن موته ـ المأمون ـ وموت الجواد متزامنان ومتجاوران كإصبعيه، ربما كان يقدم على اغتيال الإمام الجواد سريعًا!

وقد فسر الشيخ الكوراني في كتابه الإمام محمد الجواد الأمر بما يلي:

(1) تنقل مناظرة كانت بين المأمون وبين (علماء البلاط العباسي إسحاق بن إبراهيم ومعه أربعون من الفقهاء وأهل العلم) كما نقلها السيد المرعشي في كتاب شرح إحقاق الحق، 3/ 28 بتفصيلها عن العقد الفريد في أن عليًّا عليه السلام أفضل الخلق بعد النبي قال: إن أمير المؤمنين يَدين الله على أن عليّ بن أبي طالب خيرُ خلق الله بعد رسوله صلى الله عليه وآله وأولى الناس بالخلافة. قال إسحاق: قلت: يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في عليّ، وقد دعانا أمير المؤمنين للمُناظرة. فقال: يا إسحاق، اختر إن شئت أن أسألك وإن شئت أن تسأل. قال إسحاق: فاغتنمتها منه، فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين. قال: سَل. قلت: من أين قال أَميرُ المؤمنين إن عليَّ بن أبي طالب أفضلُ الناس بعد رسول الله وأحقُّهم بالخلافة بعده؟ قال: يا إسحاق، خبِّرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يُقال فلان أفضل من فلان؟ قلت: بالأعمال الصالحة. قال: صدقت.. إلى آخر المناظرة التي ثبت فيها فضله على من سواه.

(2) المفيد: الإرشاد: 2 / 287، وابن شهرآشوب في المناقب: 3 / 488.. قال المأمون: ويحكم إني أعرف به منكم وإن أهل هذا البيت علمهم من الله ومواده وإلهامه، فإن شئتم فامتحنوه!.

(3) راجع كتابنا عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

أ/ إنه يدخل ضمن الصراع السياسي داخل الأسرة العباسية ويستخدمه المأمون كورقة ضغط عليهم بما يعني أنكم إن لم تلتفوا حولي ستذهب الخلافة منكم.

ب/ فيما يرتبط بالجانب الفكري يرى الشيخ الكوراني أن المأمون كان يسعى إلى نظام عباسي بمذهب شيعي علوي، ورأى أنه قام بخطوات عملية في هذا فكتب منشورًا في البراءة من معاوية ولكنه لم يعلنه خوفًا من الاتجاه العام وبقي هذا المنشور إلى أن أخرجه المعتضد العباسي.

ج/ وفي نهاية الأمر يلخص موقف المأمون بأنه كان شيعيًا من الناحية النظرية، وعدوًّا لأئمة العترة وشيعتهم عمليًا[1].

وأما أسوأ المواقف فهو موقف المعتصم العباسي الذي خلف أخاه المأمون في الخلافة والحكم، فإنه بطبيعته المبنية على الجهل وكره المعارف العلمية[2] كما سيأتي أثناء الحديث عن سيرة الإمام علي الهادي حيث عاصره الفترة الأكثر، فلم يكن

(1) الكوراني: الإمام محمد الجواد عليه السلام 115.

(2) ابن كثير (ت 774) البداية والنهاية ط هجر 14/ 284 وكانَ أُمِّيًّا لا يُحْسِنُ الكِتابَةَ، وكانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ كانَ يَتَرَدَّدُ مَعَهُ إلى الكُتّابِ غُلامٌ، فَماتَ الغُلامُ، فَقالَ لَهُ أَبُوهُ الرَّشِيدُ: ما فَعَلَ غُلامُكَ؟ قالَ: ماتَ واسْتَراحَ مِنَ الكُتّابِ. فَقالَ لَهُ أَبُوهُ الرَّشِيدُ: وقَدْ بَلَغَ مِنكَ كَراهَةُ الكُتّابِ إلى أنْ تَجْعَلَ المَوْتَ راحَةً مِنهُ؟ واللَّهِ يا بُنَيَّ لا تَذْهَبُ إلى الكُتّابِ بَعْدَها. فَتَرَكُوهُ فَكانَ أُمِّيًّا، وقِيلَ: بَلْ كانَ يَكْتُبُ كِتابَةً ضَعِيفَةً.

تفوق الإمام الجواد العلمي يعني شيئا بالنسبة له، بالإضافة إلى ما تطبع عليه من نشأة عسكرية كما يذكر المؤرخون، فلم يكن يمارس أي نوع من المداراة والتعامل الحسن مع الإمام الجواد خاصة وأنه كان يصنفه على (أعدائه) ومنافسي حكمه وعائلته، فكان أن اتخذ مواقف متشددة من الإمام عليه السلام انتهت باغتيال الإمام كما سيأتي.

وكان وزراء الدولة ومؤسساتها تتجه باتجاه بوصلة الحاكم والخليفة من التراخي النسبي أو التشدد الكثير!

وأما بالنسبة لعامة المسلمين من غير شيعة أهل البيت عليهم السلام؛ فإننا لا نلحظ اهتمامًا استثنائيًا بقضية الإمام الجواد وتصديه للإمامة في ذلك العمر، لو استثنينا بعض العلماء والفقهاء المرتبطين بالدولة، والذين هم في مشروعها فمن الطبيعي أن تكون مواقفهم ـ العلنية على الأقل ـ متأثرة بوظائفهم، ولذلك كان بعضهم يدخل برغبة أو بدونها في محاولات (إحراج) الإمام بالأسئلة الصعبة فيما يظن!

أما عامة الناس فقد تمَّ فصلهم عن هذا الموضوع في وقت مبكر، بعدما اختار مذهب مدرسة الخلفاء أن الإمام وولي الأمر هو الحاكم السياسي المسيطر بغض النظر عن قابلياته وأهليته

الذاتية! وهذا الأمر قد تمَّ (تطبيع) عامة الناس عليه من أيام الأمويين، فالإمام هو الذي يملك الصولجان، وولي الأمر هو السلطان بل حتى لو اختلف أكثر من واحد، فالخليفة وولي الأمر هو القوي المنتصر الذي يحسم المعركة ويخطب الجمعة!

وبالتالي فهم لا يفتشون عن علامات الإمام أو مواصفاته، أو قابلياته لا سيما وأن بالإمكان (صناعة) كل ذلك من خلال الإعلام وخطب الجمعة وهكذا..

ولذلك ـ والله العالم ـ كان أفراد العامة هؤلاء لا يرون أنفسهم معنيين كثيرًا بالبحث عن الإمام الحق، وعن علاماته فإمامهم معروف وهو الذي يحكم!

وأما شيعة أهل البيت عليهم السلام؛ فيمكن لنا أن نلاحظ هذه المواقف:

أولًا: موقف المسلّمين المؤمنين بإمامة الجواد عليه السلام، ويعتمد تسليمهم هذا على أساس أن الإمامة الإلهية كما هي النبوة ليست خاضعة للمقاييس البشرية بالضرورة، فكما يجوز أن يبعث الله نبيًّا بل أنبياء وهم صغار السن كذلك لا مانع أن يجعل أئمة في نفس هذا العمر. وما هو مستبعد بادئ النظر فإنما هو لأجل عدم الاعتياد عليه لا لأنه مستحيل في نفسه أو يلزم منه محذور! وعدم الاعتياد هذا يمكن أن يكون مع أول نبي أو أول إمام فإذا تكرر زال

الاستيحاش والاستبعاد. وخصوصًا مع تأكيد الإمام السابق بل السابقين على أنه سيحدث هذا وسيكون امتحانًا للناس!

ويمثل هذا الموقفَ بشكل متميز: عليٌّ بن جعفر الصادق عليه السلام[1]، فإنه مع جلالة قدره علمًا وعلو نسبه شرفًا وموقعه بين الشيعة، كان يظهر ويعلن اعترافه بإمامة الإمام الجواد وتسليمه له، مع كون الإمام الجواد أصغر منه بنحو 47 سنة[2] وكونه عمًّا لأبيه عليٍّ الرضا عليه السلام: «فعن محمد بن الحسن بن عمار، قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالسًا بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما يسمع من أخيه الكاظم عليه السلام إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبل يده وعظمه فقال له

(1) ذكره السيد الخوئي في معجم رجال الحديث 12: 315، فقال ما خلاصته: قال الشيخ (الطوسي): «علي بن جعفر أخو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين، جليل القدر، ثقة، وله كتاب المناسك ومسائل لأخيه موسى الكاظم بن جعفرعليه السلام، سأله عنها: وقال الشيخ المفيد قدس سره: كان من الفضل والورع على ما لا يختلف فيه اثنان.

ونقل ابن أخيه الحسين بن موسى بن جعفر فقال: كنت عند أبي جعفرعليه السلام بالمدينة وعنده علي بن جعفر وأعرابي من أهل المدينة جالس، فقال لي الأعرابي: من هذا الفتى؟ وأشار بيده إلى أبي جعفرعليه السلام، قلت: هذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: يا سبحان الله! رسول الله قد مات منذ مائتي سنة وكذا سنة، وهذا حدث كيف يكون هذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟..فشرح له علي بن جعفر كيف صار الجواد وصي النبي.

(2) كانت ولادة علي بن جعفر الصادق سنة 148 وولادة الإمام الجواد 195هـ.

أبو جعفر: يا عم أجلس رحمك الله، فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم! فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه، وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال: أسكتوا! إذا كان الله عز وجل، وقبض على لحيته، لم يُؤَهِّلْ هذه الشيبة وأَهَّلَ هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أنكرُ فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد»[1]!

ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد منه بل تكرر مع آخرين، وبالفعل فقد كان الأمر ملفتًا أن يكون شخص في نحو الخامسة والخمسين مع ما هو عليه من الفضل والمنزلة يقبل يد فتى عمره تسع سنوات! ويسوي له حذاءه كما في روايات أخر، والأرجح أنّه كان يتعمد التظاهر بذلك لبيان منزلة الإمام الجواد وعظمة شأنه أمام سائر الشيعة.

ويظهر أن موقف التسليم والإيمان بإمامة الجواد عليه السلام كان موقف عامة الشيعة، وإن كان بعضهم لا يظهره بالنحو الذي أظهره الفقيه علي بن الإمام جعفر الصادق آنف الذكر، ولكن استقرار الأمر للإمام بعد فترة يسيرة من شهادة أبيه الرضا يشير إلى هذه الحقيقة، كما يشير إليها أن أهم أصحاب أبيه كانوا

(1) الكليني: الكافي 1 / 321.

أصحابه والرواة عنه[1]. هذا إذا استثنينا رجال الواقفية الذين سيأتي ذكرهم.

ثانيًا/ الواقفة والمتنكرون لإمامته: كانت هناك أقلية أصرت على الوقف وعدم الإيمان بالإمام الرضا عليه السلام، وهؤلاء كان من الطبيعي أن لا يؤمنوا بإمامة الإمام الجواد ما داموا لا يعتقدون بأبيه، فإن النص على الجواد وتنصيبه للإمامة هو من أبيه الرضا، وهم لا يعتقدون به!

وكان مقتضى الإنصاف أن لو كانوا في شبهة أن تزول هذه الشبهة؛ فإنهم زعموا أن الإمام عليًّا الرضا لما لم يولد له مولود فهو عقيم فإذن لا يكون إمامًا لأن الإمام لا يكون فيه نقص! مقتضى الإنصاف أن يتراجعوا عن هذا بولادة الإمام الجواد وأن يتوبوا عن مقالتهم، ولكنهم ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾[2]. هذا فضلًا عمّا برز منه من العلوم التي برز نظيرها من آبائه المعصومين!

(1) فمنهم داود بن القاسم (أبو هاشم) الجعفري، وأيوب بن نوح بن دراج، والحسن والحسين ابنا سعيد الأهوازيان، والحسين بن عبد الله النيسابوي والي سجستان والريان بن شبيب، وزكريا بن آدم القمي، وسعد بن سعد الأشعري، وصفوان بن يحيى البجلي، وعبد العزيز بن المهتدي القمي، وعبد العظيم الحسني، وعبد الرحمن بن أبي نجران، وعبد الله بن الصلت وعمرو بن سعيد الساباطي، ومحمد بن خالد البرقي ومحمد بن الفرج الرخجي، ومعاوية بن حكيم، وابن السكيت يعقوب بن اسحاق.. وغيرهم.

(2) سورة نوح: 7.

بل أكثر من ذلك فإن بعض الواقفة الذين اعترفوا لأخ الإمام الرضا أحمد بن موسى بالإمامة، كان ينبغي أن يرجعوا للإمام الرضا بعدما قام الشريف أحمد بن موسى نفسه مع والدته أم أحمد إلى بيت الإمام الرضا وأعلن أنه ـ هو وجميع من بايعه ـ في بيعة أخيه؛ لكنهم لم يفعلوا ذلك.

ثالثا: ربما نجد بين هاتين الفئتين بعض الأسماء كان له نحو توقف أو تساؤل أو تفكير في أمر إمامته عليه السلام، لكنهم ما لبثوا أن استقر إيمانهم، ورأوا عين اليقين، وقد يلتمس العذر لمثلهم فإن بعض (المقدمات التي يستبعدها بادئ النظر والرأي) مثل أنه كيف يعطي الله الإمامة لصبي؟ أو كيف يحيط هذا الصبي بالعلم الإلهي أو غير ذلك.. من شأنها أن تجعل بعض الأشخاص يتوقفون عن المسارعة للإيمان به! ولكنهم مع شيء من التفكير والتروي ومشاهدة الإحاطة العلمية له، والكرامات العملية سيعلمون ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾.[1]

ومن هؤلاء ربما كان ابن اسباط كما تشير له الرواية[2] وآخرون.

(1) سورة الحج: 54.

(2) الكليني: الكافي1/ 432 عن علي بن أسباط قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج عليَّ فأخذت النظر إليه وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتى قعد، فقال: يا علي إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم:12 و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ القصص: 14 ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الأحقاف: 15 فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبيٌّ ويجوز أن يؤتاها وهو ابن أربعين سنة.

وربما كان البعض من هؤلاء يتأمل في كيف يمكن إقناع الناس بإمامته؟ وكيف سيقبلون بها؟ ويعتريه القلق من هذه الجهة، وربما أعرب عن هذه الجهات لأحد فاعتبر كأنه لا يصدق بالإمامة، ونعتقد أن الرواية التي نقلت عن اجتماع في بركة زلزل في بغداد بين بعض أصحاب الإمام الرضا، وما نقل فيها من كلام منسوب ليونس بن عبد الرحمن مما ظاهره التشكيك في الإمامة الفعلية للإمام الجواد، هو في هذا الإطار لو كان لأصل الخبر نقل صحيح، وقد سبق أن شككنا في هذه الرواية سنَدًا ومتنًا.

الإمام الجواد في عصر المعتصم العباسي

مع موت عبد الله بن هارون المعروف بالمأمون العباسي في سنة 218 هـ وهو في طريقه إلى طرسوس في شمال الشام بسبب مرض الحمى ـ كما قيل ـ وتولي أخيه محمد بن هارون المعروف بالمعتصم العباسي، بدأت مرحلة جديدة من الشدة والقسوة على شيعة أهل البيت عليهم السلام وعلى الإمام الجواد عليه السلام بوجه خاص.

وذلك أن المأمون مع حرصه على ملكه وتنحيته كل من يقف في طريقه حتى لو أدى ذلك إلى القتل كما فعل بالنسبة لأخيه الأمين، بل وكما فعل بالنسبة للإمام الرضا عليه السلام لأسباب قدمنا

ذكرها في كتابنا عالم آل محمد. إلا أنه يعتبر بالقياس إلى أخيه المعتصم كدرة لفحمة!

فقد كان معروفًا بذكائه وحبه للعلم وقدرته على المناظرات والمناقشات، وتقييم الأشخاص بحسب مقامهم العلمي، وكان من الناحية النظرية عارفًا أن الحق مع آل محمد ولكنه من الناحية العملية كان الملك عنده والحكم فوق كل شيء، ولم يتجاوز إعجابه النظري بعلم أئمة الهدى وقدراتهم إلى التطبيق العملي. إلا في حدود الاحترام والتوقير.

وأما المعتصم فقد اجتمعت فيه صفات سيئة كثيرة، ولننظر لما قاله المؤرخون عنه:

فقد ذكرنا في صفحات سابقة كيف كان يكره الحضور في الكُتّاب والدرس إلى درجة أنه كان يغبط زميله الذي مات وصار مستريحًا من الحضور!

وحتى عندما استمرت الدولة على المنهج الاعتزالي الذي بدأه المأمون عن قناعة به وفهم له، لما جاء المعتصم[1] كانت حواراته بالسياط والسجن والقتل حتى لمن يخالفه في اعتقاداته!

(1) ربما يكون لنا وقفة مع شخصيته عند الحديث عن سيرة الإمام علي الهادي حيث كانت معاصرته له طويلة نسبيًا.

مع أنه هو نفسه ربما لم يكن يفهم معاني تلك الاختلافات!! خصوصًا وقد غلب عليه بعض الفقهاء المتشنجين ومنهم أحمد بن أبي دؤاد.

وبينما طالت معاصرة الإمام الجواد مع المأمون نحو 15 سنة، مع وجود تحريض للمأمون على الإمام من قبل البيت العباسي، وبشكل خاص من ابنته أم الفضل كما يتضح ذلك في علاقتها غير المنسجمة مع زوجها الإمام الجواد.. ومع ذلك لم يتخذ موقفًا قاسيًا من الإمام.

إلا أننا نجد هذا المعتصم ذا التنشئة العسكرية الجافة[1]، والذي أحاط نفسه بميليشيا تركية خاصه لحمايته، لم يصبر على وجود الإمام الجواد حتى سنتين فبينما تولى المعتصم الخلافة في سنة 218 هـ أقدم على تسميم الإمام في سنة 220 هـ بالتعاون مع ابنة أخيه أم الفضل!

فاستشهد الإمام عليه السلام وهو في نضارة العمر، وأوج القوة والشباب وهو ابن 25 سنة.

(1) بل قالوا فيه: كما في البداية والنهاية 14/ 286 «كان إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل»!

الإمام الجواد
وتجلي علم الله سبحانه

كان أصعب الأمور تعقلًا على الناس؛ كيف يتولى صبي في الثامنة من العمر الإمامة مع ما تحتاج إليه من إمكانات علمية هائلة، ولا سيما على ما يراه الإمامية حيث أن الإمام عندهم له مواصفات خاصة[1]

(1) الكافي، ج 1، الشيخ الكليني، ص 248 في الرواية المشهورة عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «.. إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى، والمنجي من الردى، الإمام النار على اليفاع، الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك، من فارقه فهالك، الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأم البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله. =

ـ علمية وعملية ـ لا يصل إليها شخص مهما علا إلا إذا كان منتخبًا من الباري سبحانه.

ومثلما هو اليوم مستغرب عند بعض الناس فقد كان كذلك في حينها بل ربما كان بنحو أشد. ولتوضيح الأمر نقول: مرجع هذا كله إلى الاستغراب والاستبعاد وليس راجعًا إلى استحالة عقلية، أو عدم إمكان وقوعي.. وإنما لأن الناس لم يروا ولم يشاهدوا قبل هذه الحادثة أن صبيًّا يؤتيه الله العلم والحكمة، وإنما اعتادوا على أن العالم إنما يكون كذلك إذا ضرب في العمر وطعن في السن فستزداد مداركه ومعارفه، وأما الصبي فلا يحصل له ذلك.

ونسي هؤلاء أو غفلوا أن الإمام ـ بالمقياس الشيعي ـ حتى لو كان كبير السن فإنه لم يكتسب هذه العلوم المتنوعة بل الغريبة بشكل طبيعي واكتساب متعارف، وإنما علمه بها كان بشكل خاص ولطف إلهي، وإلا فلا معنى لأن يتقن الإمام لغات كثيرة وهو لم يدرسها ولم يعش في بيئاتها ثم يتكلم بها بنحو أفصح من أبنائها الأصليين!

= الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين...» إلى آخر الرواية.

ولا معنى لأن يتقن مختلف العلوم من طبيعية ودينية وتاريخية وغيرها، ولم يعرف عنه أنه درس على يد مدرس معروف! فإذا كان هذا العلم يأتي بغير الطريق الطبيعي فلا فرق حينها بين أن يكون كبير السن أو صغيره!

ويمكن أن يتم رفع الاستغراب والاستبعاد هذا بطرق:

الأولى: التأكيد على قدرة الله سبحانه على إعطاء هذا المقدار من العلم والإمكانات فإنه على كل شيء قدير. وقد استعمل الإمام الجواد عليه السلام هذه الطريقة مع أحد المخالفين له والذي كان يشكك قائلا: إنّ شيعتك تدّعي أنّك تعلم كلّ ماء في دجلة ووزنه؟ وكنّا على شاطئ دجلة.

فقال عليه السلام: يقدر الله تعالى على أن يفوّض علم ذلك إلى بعوضته من خلقه أم لا؟

قلت: نعم! يقدر.

فقال: أنا أكرم على الله تعالى من بعوضته ومن أكثر خلقه[1].

وهذه الطريقة إنما ترفع الاستغراب وتثبت إمكان ذلك وعدم

(1) عبد الوهاب؛ حسين: عيون المعجزات ص 118 وعنه الشيخ أبو القاسم الخزعلي: موسوعة الإمام الجواد عليه السلام 1/ 197.

تعسره، ولا تثبت وقوع القضية وحصول العلم، وإثبات القضية يتم بما سيأتي من التحدي العملي.

الثانية: رفع الاستبعاد والاستغراب بالتأكيد على أن مثل هذا قد حصل ووقع في حياة البشر وتاريخ الأنسان، لأكثر من مرة، وفي موارد هي بنظر الناس أكثر أهمية، فلو حصلت هذه المرة أيضًا فلا استحالة فيها ولا بُعد! وذلك بالبرهان على أن الله سبحانه بعث عددًا من أنبيائه وهم في هذا السن أو دونه.

فقد جعل الله سليمان بن داود وآتاه من الملك ما لم يؤت أحدًا قبله، فقد كان ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ (*) وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾[1] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ (*) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[2].

كل ذلك الذي كان فيه إمارة الدين والدنيا، مع أن سليمان كان حين آتاه الله النبوة ابن اثنتي عشرة سنة كما مرَّ سابقًا نقلًا عن مختصر أبي الفداء، ووصفته رواية الكافي بأنه صبي!!

(1) الأنبياء: 81 ـ 82.

(2) سورة النمل: 16 ـ 17

فإن عظمة النبي سليمان وسعة ملكه وعلمه في نفوس الناس، وفي الوقت نفسه توليه كل ذلك وهو بعمر اثنتي عشرة سنة مما ينبغي معه أن يرفع الاستغراب عندما يقال لهم تولى الإمام الجواد الإمامة وعمره ثمان سنين أو تسع!

وهكذا الحال في شأن النبيين العظيمين عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فإن الأول هو من أنبياء أولي العزم الذين كانت لهم رسالة عالمية شاملة، ومع ذلك يتحدث عنه القرآن قائلًا: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (*) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (*) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[1]، وكذلك الحال في يحيى بن زكريا النبي حيث خاطبه ربه: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (*) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾[2].

فهؤلاء أنبياء ثلاثة أحدهم سيطر على الدنيا وملكها بما لم يحصل لأحد قبله، بالإضافة إلى سيطرته على الدين والشريعة، وقد أوتي النبوة صبيًا صغير السن، والآخر كان من أولي العزم أصحاب الرسالة العالمية، وبجانبه يحيى النبي وقد أوتيا الكتاب والحكم صبيين!

(1) سورة مريم: 29 ـ 31.
(2) سورة مريم: 12 ـ 13.

فإذا كان هذا قد حصل في نفس الإطار الديني الذي يتحدث الإمامية عن حصوله للإمام الجواد (ومن بعده سيحصل للإمام الهادي وللإمام المهدي عليهما السلام) فما هي الغرابة في ذلك؟ ولماذا عندما يحصل للأنبياء يكون الأمر طبيعيا، بينما عندما يحصل للأئمة يكون غير طبيعي؟

الثالثة: رفع الاستغراب من خلال حصول نوابغ بشرية (لم تكن لهم صفة إلهية ولا كان ينتظر منهم دور رباني) حصل لهم من العلم الاستثنائي والمعارف المحيرة للعقول وهم أطفال أو صبيان.. وقد سجلت حالاتهم في العصر الحديث كما نقلت حالات أخر في العصور السابقة.. فإذا كان هؤلاء لهم هذه الكفاءات الاستثنائية من العلم والذكاء والمعرفة، وهم لم يُعَدّوا لدور الهي أو استثنائي فما الذي يمنع منه بالنسبة لإمام أو أئمة قد أعدوا للقيام بأدوار إلهية ومهمات ربانية وهي هداية الخلق؟

وقد أشرنا في كتابنا الإمام المهدي: عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة إلى هذه الفكرة في الرد على استبعاد توليه عليه السلام الإمامة وهو صغير السن، وننقل خلاصة ما ذكرناه هناك فقد قلنا؛ إنه يوجد «للإنسان عُمْران؛ عمر تكويني وآخر عقلي» التكويني هو هذا العمر الظاهري الذي يتأثر بالزمان، فهو في البداية طفل ذو

مدارك ومعارف محدودة، وبالتدريج يصبح شابًا فيكتسب معارف جديدة وعلومًا حادثة، وبتتبع نظره في ما حوله وتأمله ينمو عقله، حتى يبلغ أشده كما يقول القرآن ببلوغ أربعين سنة.. ثم يميل تدريجيًا باتجاه الانحدار في القوى العضلية والعقلية والادراكية، حتى يصل ﴿إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾[1] من الناحية الإدراكية، ويحتاج إلى من يتولى له أبسط الأمور من الناحية البدنية! هذا العمر التكويني يمرّ به غالب البشر.

لكنَّ هناك عمرًا عقليًّا للإنسان قد يرتبط بعمره التكويني ويمر بنفس المراحل السابقة التي ذكرت، وقد لا يرتبط، أي من الممكن أن يكون عمر أحدهم خمس سنوات ولكن عمره العقلي خمسون سنة وآخر قد يكون عمره التكويني أربعين سنة ولكن عمره العقلي أربع سنوات.

ليس جميع البشر محكومين بارتباط عمرهم العقلي بعمرهم التكويني دائمًا، والشاهد على ذلك وجود النوابغ والنوادر من البشر[2].

(1) سورة الحج: 5.

(2) ببحث سريع في الإنترنت عن الأطفال النوابغ سوف يجد القارئ العزيز عشرات النماذج الذين وثقت حالات نبوغهم وتفوقهم فهذا قد طوى السنين الدراسية ودخل الجامعة في تخصصات معقدة بعدما كان في عمر الخامسة يستوعب الكتب العلمية المركزة، والجنوب أفريقي وليم كلاين الذي استطاع عام 1990 استخراج الجذر التربيعي الثالث لرقم مؤلف من مائة خانة في دقيقة =

فقد ذكروا أن أصغر نابغة في العصر الحديث ويسمى (آدم كربي) من بريطانيا كان قادرًا وهو في عمر سنتين على تهجئة اكثر من مئة كلمة من أعقد الكلمات في اللغة الانجليزية، وهذا لا يمكن تفسيره ضمن معادلات العمر التكويني، فمن كان في ذلك السن بالكاد ينطق الكلمات الأولية! يتابع الباحثون حالة ذلك النابغة ليقولوا إنه لما صار عمره ثلاث سنوات بدأ يقرأ اللغة الفرنسية ويتكلم بها بطلاقة وعندما بلغ ثلاث سنوات ونصف أصبح يقرأ لشكسبير ويأخذ عليه إشكالات في التعبير والإنشاء!

كذلك فإن من كتبوا عن حياة موزارت الموسيقي المعروف قالوا إنه كان عمره ثلاث سنوات حينما بدأ يعزف أول مقطوعاته الموسيقية، ولما اكمل أربع سنوات كان والده يدور به في أوربا وهو يؤلف المقاطع الموسيقية ويعزفها!!

وفي بلاد المسلمين، وجدنا أشخاصًا متعددين، بعضهم كان

= وتسع وعشرين ثانية. كما تعرض لاختبارات أعقد من هذه بكثير في مختبرات الفيزياء العالمية في تسوكوبا في اليابان تجاوز معظمها بسهولة!! والكوري الجنوبي كيم اونغ يونغ الذي تجاوز حاصل ذكائه ال200 درجة ولم يتجاوز بعد سن العاشرة (وللمقارنة لا يتجاوز معظمنا المائة وعشرة). وفي سن الرابعة أتقن أربع لغات، وفي الخامسة ألف كتابًا في الرياضيات، وفي أكثر من مناسبة عرض التلفزيون قدرته على حل مسائل معقدة فشل الكمبيوتر في حل اثنتين منها!!
https://www.sayidaty.net/node/349556.

يحفظ القران الكريم كاملًا بالقراءات العشر، وبعضهم كان يقرؤها مع ترجمتها باللغتين الإنكليزية والفرنسية، ولم يعرف عنه أنه درس أيًّا منهما!

إن هذه النماذج ما هي إلا تقريب لتجلي الله في قدرته ووضعه شيئًا من عظمته في بعض عباده، ليتجاوز المألوف والطبيعي بين الناس، ويثبت لهم عيانا ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. وإذا كان هذا النبوغ يحصل لشخص عادي بل لمن سيسخره في الموسيقى، فهل يمتنع ذلك على النبي والإمام اللذين أعدهما ربهما لهداية البشر إلى منهاجه؟

هل سيقبل الناس بمعلم نابغة سابق لعمره بعشرات السنين ولكنه صغير السن (ابن عشر سنوات) في تدريسه في الجامعة أو أنهم سيرفضونه بدعوى أنه ليس كبير السن ولا عظيم الجسم؟

ننتهي مما سبق إلى نتيجة أن المدار في الاتباع والطاعة ليس السن في صغره أو كبره، وإن كانت العادة أن يكون النبي أو الإمام في سن متعارفة، بل النبي يبعث عادة في سن الأربعين. لكن هذا ليس قاعدة نهائية فقد رأينا في يحيى وعيسى خلاف ذلك، وبينّا أن العمر التكويني ليس هو المقياس وإنما العمر العقلي»[2].

(1) سورة الطلاق: 12.

(2) آل سيف؛ فوزي: الإمام المهدي؛ عدالة منتظرة 43.

الرابعة: إثبات الأمر بالتحدي العملي: لقد كان الميزان في إلزام الخصوم هو تحديهم عمليًّا، فها هو القرآن يفتح ميدان التحدي لخصومه ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[1]، وها هو سيد الأوصياء عليٌّ بن أبي طالب يتحدى «سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماوات أعلم مني بطرق الأرض..»، وها هم أئمة الهدى عليهم السلام يتحدون غيرهم فلا يثبت الغير أمامهم في الميدان، ويتحداهم غيرهم فيغرقونه في شبر ماء! فلقد جرب الخلفاء العباسيون بدءا من أبي جعفر المنصور مع الإمام الصادق مستعيناً تارة بأبي حنيفة وأخرى بغيره، تحدي الإمام جعفر الصادق ومحاولة إحراجه بالمسائل الصعبة الشديدة فإذا به يلقي أمامهم من علومه ما يجعل أبا حنيفة يقول للمنصور (إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس). ومثله صنع الإمام موسى بن جعفر الكاظم مع أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، والإمام الرضا في ذلك المجلس الكبير والمؤتمر العالمي الذي جهز له المأمون وكان مدار السؤال والجواب على الإمام الرضا عليه السلام حيث أجاب «على أهل التوراة بتوراتهم وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم وعلى أهل الزبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى أهل

(1) سورة هود: 13.

الهرابذة بفارسيتهم وعلى أهل الروم برروميتهم وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم».[1]

وعلى نفس الطريق سار الإمام محمد الجواد عليه السلام، فقد كان مخالفوه (من الواقفة، بل والزيدية في الشيعة) ومن أتباع مدرسة الخلفاء كفقهاء وخصوصًا أولئك المتحفزين ضده من البيت العباسي، واستعانوا بمن كانوا يعتقدون فيه أنه أعلم أهل الأرض لكي يعجز (الصبي الذي لا فقه له كما زعموا).

ولذلك فقد عقد يحيى بن أكثم معه مجالس متعددة لكي (يحرجه) في ما ظن بأعقد الأسئلة، وسنعرض إليها وننبه عليها فيما يأتي من الصفحات إن شاء الله تعالى.

المجلس الأول:

قد ذكره الشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبري في كتابه الإرشاد، بتفصيل بينما ذكره غيره باختصار ولذلك سننقل النص عن كتاب المفيد، فقد ذكر في أول الأمر حوار العباسيين مع المأمون وطلبهم منه التريث في تقريب محمد بن علي الجواد (ابن الرضا) وانهم لتوهم قد استراحوا من هَمٍ كان عندهم وهو

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 140 وقد مرَّ في حاشية سابقة، الإشارة لمصادرها.

توليته للإمام الرضا ولاية العهد ففوجئوا بتقريبه لابنه الجواد ورأوا.. كما قالوا: إن هذا الصبي وإن راقك منه هديه، فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم إنني أعرف بهذا الفتى منكم، وإن هذا من أهل بيت علمهم من الله ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن به ما وصفت من حاله.

قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم. فخرجوا من عنده وأجمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي القضاة على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن تختار لهم يوما للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك.

واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست، وتجعل له فيه مسورتان (وسادتان)، ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي ـ جعلت فداك ـ في مسألة؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: «سل إن شئت قال يحيى: ما تقول ـ جعلت فداك ـ في محرم قتل صيدًا؟»

فقال له أبو جعفر: «قتله في حل أو حرم؟ عالمًا كان المحرم أم جاهلًا؟ قتله عمدًا أو خطأ؟ حُرًا كان المحرم أم عبدًا؟ صغيرًا كان أم كبيرًا؟ مبتدئًا بالقتل أم معيدًا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم كبارها؟ مُصرًا على ما فعل أو نادمًا؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهارا؟ محرمًا كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرمًا»؟

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون: الحمد لله

على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي. ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه[1]؟

ثم إنه بعدما تمَّ عقد الإمام الجواد على ابنة المأمون، وتفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيت ـ جعلت فداك ـ أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «نعم؛

إن المحرم إذا قتل صيدًا في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة؛ فإن كان أصابه في الحرم فعليه الجزاء

(1) المفيد: الإرشاد2/ 284 وقد نقله بسنده عن الحسين بن محمد بن سليمان، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب (والريان بن شبيب كما مرَّ سابقًا هو أخو ماردة أم المعتصم العباسي وزوجة هارون، فاطلاعه على داخل ما يجري في القصر العباسي كثير كما أنه من الرواة الثقات ومن أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام كما وجد هذا الخبر بسند آخر في تفسير علي بن إبراهيم القمي (ت حوالي 329) عن محمد بن الحسين عن محمد بن عون النصيبي.
وقد أشار إلى الخبر سبط بن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص ص 321 فقال:» والإمامية تروي خبرًا طويلًا فيه ان المأمون لما زوجه كان عمر محمد الجواد سبع سنين وأشهر وأنه هو الذي خطب خطبة النكاح وأن العباسيين شغبوا على المأمون ورشوا القاضي يحيى بن أكثم حتى وضع مسائل ليخطّىء بها محمد الجواد ويمتحنه وان الجواد خرج عن الجميع، وهو حديث طويل ذكره المفيد في كتاب (الارشاد) والله أعلم».
كما ذكره مختصرًا علي بن الحسين المسعودي (ت 346) صاحب مروج الذهب، في كتابه إثبات الوصية ص 224.
ونقله ابن شعبة الحراني (ت في القرن الرابع) في كتابه تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله 462.

مضاعفًا؛ وإذا قتل فرخًا في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ؛

وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبيًا فعليه شاة، فإن قتل شيئًا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفًا هديًا بالغ الكعبة،

وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكة.

وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة».

فقال له المأمون: أحسنت ـ أبا جعفر ـ أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟.

قال: ذلك إليك ـ جعلت فداك ـ فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «خبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول

النهار فكان نظره إليها حرامًا عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه؟».

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حرامًا عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له».

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟![1]

(1) المفيد: الإرشاد 2/ 287 ونقل هذا القسم الأخير ـ مقتصرًا عليه ـ ابن حجر الهيتمي (ت 974) في كتابه الصواعق المحرقة 2/ 598.

ملاحظات وفوائد:

1/ من أولى تلك الملاحظات أن نقل الخبر بتفاصيله وحيثياته يصدق بعضه بعضًا ويؤكد كل قسم منه القسم الآخر حيث يلاحظ دارس المتن ذلك، كما أن الناقل له بحسب السند الأول هو الريان بن شبيب وقد أشرنا في الهامش إلى موقعه من القصر العباسي والبيت العلوي.

2/ إن هذه الحادثة لآثارها التي تحرج مدرسة الخلفاء ـ مثلما أحرجت الطرف المناوئ للأئمة في البيت العباسي ـ قد تمَّ التعتيم عليها، تارة بعدم نقلها أصلها، حتى أن من نقلها وهو سبط ابن الجوزي نقل أربعة أسطر عنها ناسبًا إياه إلى الشيخ المفيد باعتبارها من روايات الإمامية وكأنه يشير من طرف خفي إلى أنها لا ينبغي أن يصدقها غيرهم!

وأخرى بتكذيبها صراحة كما فعل ابن تيمية الحراني في كتابه منهاج السُّنَّة، فقال مثلًا: «يحيى بن أكثم أفقه وأعلم وأفضل من أن يطلب تعجيز شخص بأن يسأله عن محرم قتل صيدًا، فإن صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسألة».

ونقول: بأن فقه يحيى وأمثاله لما كان في خدمة سلاطين الوقت وأرباب المال فهو يدور معهم كما يلاحظ من سيرته

وسيرتهم هذا عن يحيى. وأما عن المسألة فقد كانت مدار بحث عند الفقهاء[1] وهي بمثابة جس نبض ليعرف السائل مستوى المسؤول والمجيب.

ولولا أن الإطالة في نقاش ما ذكره، وفيه من التجني على الحقيقة الشيء الكثير، يخرجنا عن غرضنا في هذا الكتاب لتوسعنا في ذلك، ولكن يمكن لمن أراد مناقشة ما ذكره وهو يكشف بوضوح سوء علاقته بآل محمد، فليرجع إلى ما ذكره المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه حياة الإمام الجواد في هذا الموضوع.

(1) فها هو أبو القاسم البغوي، (ت 317) ينقلها في كتابه: جزء في مسائل عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل 1/ 32 عن أحمد، ويرويها قائلًا: «وسَمِعْتُ أبا عَبْدِ اللَّهِ سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرِينَ ومِائَتَيْنِ وسُئِلَ عَنْ مُحْرِمٍ قَتَلَ صَيْدًا؟! قالَ: يُكَفِّرُها فِي القُرْآنِ..» وهذا التاريخ قريب جدًا من تاريخ المحاورة والمباحثةً.. فإذا كانت عديمة الأهمية إلى هذه الدرجة التي يراها ابن تيمية فما معنى أن ينقلها راو عن محدث أو فقيه؟

ويتبين اختلافهم في حكمها في بعض المصادر ففي موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي 1/ 357 قال محمد نعيم ساعي «جمهور الفقهاء بل جماهيرهم على أن المحرم إذا قتل صيدًا عمدًا أو خطأً أو ناسيًا لزمه الجزاء، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد.

وقال مجاهد: إن قتله خطأً أو ناسيًا لإحرامه لزمه الجزاء وإن قتله عمدًا ذاكرًا لإحرامه فلا جزاء. وبه قال الحسن البصري». غير أن صاحب كتاب الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر 3/ 229 ـ ابن المنذر (ت 319) قال: واختلفوا فيمن قتل صيدًا خطأ وهو محرم، فقالت طائفة: لا شيء عليه، كذلك قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاووس، وأبو ثور. وكذلك نقول.

وقال الحسن البصري، وعطاء، والنخعي، ومالك، والثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي: عليه الجزاء.

ونقول: أين ما قاله ابن تيمية من أن صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسألة، ثم قوله فيما بعد فإن التشقيق مع عدم اختلاف الحكم لا فائدة فيه!

أو أنها اللجاجة والعناد؟

3/ إن الإمام ﷺ قد أعجز يحيى بن أكثم في المفتتح والبداية، عندما شقق له السؤال بالفروع الكثيرة التي يتطلب كل فرع منها جوابًا خاصًا كما بيّنه له فيما بعد! وأدهشه عندما تعرض إلى تفاصيل تلك الفروع. وكانت من نتيجة الإعجاز في الجهة الأولى أن سكت مخالفو الإمام من بني العباس وبان عليهم انقطاع الحجة ولذلك أمر المأمون الإمام أن يخطب خطبة النكاح ليزوجه ابنته. ومن نتيجة القسم الثاني عندما طلب المأمون من الإمام أن يبين له ولهم تفاصيل ما شقق فروعه الأساسية، فأجاب ﷺ عن كل فرع بما يناسبه أن هزموا في إعدادهم ودمر الله عليهم!

المجلس الثاني:

لا نعلم بشكل دقيق كم كانت الفاصلة بين هذا المجلس والمجلس الأول، فهل كان في نفس السنة التي استقدم المأمون فيها الإمام الجواد؟ أي سنة 204 هـ، يحتمل أن يكون الأمر كذلك فإنه من الظاهر أن الإمام بعد مغادرته بغداد بعد عقده على أم الفضل بنت المأمون لم يرجع إليها إلا بعد حوالي 14 سنة، قريبًا من وفاة المأمون وعندها يبدو أن الحاجة إلى (إحراج الإمام بالأسئلة) قد انتفت لا سيما وقد أصبح عمره نحو 23 سنة!

فقد نقل الطبرسي في كتاب الاحتجاج: «أن المأمون بعد ما زوج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر[1]، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة».

فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي: أنه «نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا محمّد إن الله عزّ وجلّ يقرؤك السّلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راضٍ فإنّي عنه راضٍ».

فقال أبو جعفر عليه السلام: لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليّ متعمِّدًا فليتبوأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي. فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به» وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2] فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره؟ هذا مستحيل في العقول!

(1) والمقصود بعدما عقد له عليها في المجلس السابق.

(2) سورة ق: 16.

ثمّ قال يحيى بن أكثم: وقد روي: «إنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء».

فقال: وهذا أيضًا يجب أن يُنظر فيه، لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط. ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثرُ أيامهما الشركَ بالله فمحال أن يُشبّههما بهما.

قال يحيى: وقد روي أيضًا: «أنّهما سيدا كهول أهل الجنة» فما تقول فيه؟

فقال عليه السلام: وهذا الخبر محال أيضًا، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شبانًا ولا يكون فيهم كهلٌ وهذا الخبر وضعه بنو أميّة لمضادة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام: بأنهما «سيدا شباب أهل الجنة».

فقال يحيى بن أكثم: وروي: «أنّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة».

فقال عليه السلام: وهذا أيضًا محالٌ، لأنّ في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدمَ ومحمّدًا، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟!

فقال يحيى: وقد روي: «أنّ السكينة تنطق على لسان عمر».

فقال عليه السلام: لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال ـ على رأس المنبر ـ: «إنّ لي شيطانًا يعتريني، فإذا ملت فسددوني».

فقال يحيى: قد روي: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو لم أُبعث لبُعث عمر».

فقال عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[1] فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكل الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نبئت وآدم بين الروح والجسد».

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضًا: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما احتبس عني الوحي قط إلّا ظننته قد نزل على آل الخطاب».

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضًا، لأنه لا يجوز أن يشك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نبوته قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[2] فكيف يمكن ان ينتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من اشرك به.

(1) سورة الأحزاب: 7.
(2) سورة الحج: 75.

قال يحيى: روي أن النبي ﷺ قال: «لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر».

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضًا، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1] فأخبر سبحانه انه لا يعذب أحدًا ما دام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون»[2].

ملاحظات وفوائد:

1/ أول ما نلاحظه على هذا المجلس هو أن الأسئلة فيه هي من نوع المفخخات والألغام، فإن السائل وهو يحيى بن أكثم مع أننا لا نعتقد أنه كان حريصًا جدًا على فضائل الخليفة عمر، وإنما كان يحيى كما هو معروف من سيرته «يبيع بالعملة الرائجة في كل مكان»، فهنا أراد إحراج الإمام الجواد عليه السلام في مسألة حساسة فإن شخصية الخليفة عمر لها حساسية خاصة، فهي عند مدرسة الخلفاء الشخصية الأولى موقعًا وتأثيرًا وإن كانت الثانية بحسب الترتيب الظاهري، وهي في الوقت نفسه عند الإمامية في الطرف المقابل! فإن أجاب الإمام بتصديق

(1) سورة الأنفال: 33.

(2) الطبرسي؛ أحمد بن علي الاحتجاج 2/ 249.

أحاديث الفضائل هذه، أُخذ كلامه كإقرار واعتراف من أئمة أهل البيت بها وطار بها أتباع تلك المدرسة كل مطار! وإن ردها وكذبها أثار عليه المتحمسون من أتباع المدرسة تلك بل ربما أوذي على أثر ذلك. فهي أسئلة ملغومة لا تفتش عن الحقيقة من السائل ولا ترتب أثرًا على الجواب بمعنى أنه عندما يتبين له خطؤها سيترك الاعتقاد بها! وإنما الغرض منها تفجير المسؤول المجيب من خلال جوابه!

2/ كانت إجابات الإمام الجواد عليه السلام مدهشة في علميتها وأدبها! فهو في الوقت نفسه الذي أشار بشكل غير مباشر إلى أنها موضوعة ومكذوبة على رسول الله بأمره واضع الأخبار هذه بالتأمل فيما قاله رسول الله من أنه ستكثر عليه الكذبة! وأن من كذب عليه متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار! أضاف إلى ذلك ردًا علميًّا عليها وبين عوارها وخطأها من خلال عرضها على القرآن والسنة النبوية. فعلّم الحاضرين ومن سيصل لهم الحوار والنقاش منهجًا في التعامل مع أحاديث الفضائل المنحولة.

3/ إن الإجابات كانت تركز على نقطتين أساسيتين؛ الأولى: أن هذه الأحاديث المزعومة مخالفة لآيات القرآن الكريم، وكأن

واضعها لا يعرف تفسير القرآن وآياته فوقع في هذا المطب وهكذا ما تواتر وعلم من سنة النبي ﷺ، والثانية أنه لا يمكن أن تكون هذه الفضائل لمن قضى أكثر عمره في الشرك بالله عز وجل!

4/ إننا نلاحظ أن طريقة الإمام الجواد هنا هي نفس طريقة أبيه الرضا عليه السلام مع أبي قرة المحدث - بل طريقة آبائه مع محاوريهم - وقد مرَّ بنا في كتاب عالم آل محمد ما ذكره الإمام الرضا في تكذيب وتخطئة الروايات الحشوية التي تنسب الجسم والشبه لله عز وجل وكيف ردها الإمام الرضا عليه السلام من خلال بيان أنها مخالفة لآيات القرآن الكريم[1].

المجلس الثالث:

وقد نقلت مصادر الإمامية أنه بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام، فقد قدم إلى المدينة نحو ثمانين من شخصيات الشيعة ورواة الأحاديث من بغداد وسائر المناطق، وقصدوا بحسب هذه الرواية بيت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ولما اجتمعوا دخل عليه عبد الله بن موسى الكاظم، أخ الإمام الرضا عليه السلام فقام «مناد فنادى:

(1) آل سيف: عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا.

هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن أراد السؤال فليسأل. فقام إليه رجل من القوم فقال له: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ قال: طلقت ثلاثًا دون الجوزاء[1]! فورد على الشيعة ما زاد في غمهم وحزنهم.

ثم قام إليه رجل آخر فقال: ما تقول في رجل أتى بهيمة؟ قال: تقطع يده، ويجلد مائة جلدة وينفى. فضج الناس بالبكاء.

وكان قد اجتمع فقهاء الأمصار، فهم في ذلك إذ فتح باب من صدر المجلس، وخرج موفق الخادم ثم خرج أبو جعفر (الجواد) عليه السلام وعليه قميصان وإزار وعمامة بذؤابتين، إحداهما من قدام، والأخرى من خلف، ونعل بقبالين، فجلس وأمسك الناس كلهم، ثم قام إليه صاحب المسألة الأولى، فقال:

يا ابن رسول الله، ما تقول فيمن قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ فقال له: يا هذا، إقرأ كتاب الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[2] في

(1) وهذه هي نفس فتوى فقهاء مدرسة الخلفاء، ففي عيون الأخبار 4/ 121 لابن قتيبة الدِّينَوري، (ت 276) قال: طلّق رجل امرأة عدد نجوم السماء؛ فقال ابن عبّاس: يكفيه من ذلك هقعة الجوزاء (يريد أنها تبين منك بعدد كواكب الهقعة وهي ثلاثة). وسيأتي في مقابل هذا جواب الإمام الجواد عليه السلام.

(2) سورة البقرة: 229.

الثالثة. قال: فإن عمك أفتاني بكَيْتَ وكيْت. فقال له: يا عم، اتّقِ الله، ولا تُفتِ وفي الأمة من هو أعلم منك.

فقام إليه صاحب المسألة الثانية، فقال له: يا بن رسول الله، ما تقول في رجل أتى بهيمة؟ فقال: يعزر ويحمى ظهر البهيمة، وتخرج من البلد، لا يبقى على الرجل عارها!.

فقال: إن عمك أفتاني بكيت وكيت. فالتفت وقال بأعلى صوته: لا إله إلا الله، يا عبد الله، إنه عظيم عند الله أن تقف غدًا بين يدي الله فيقول لك: لم أفتيت عبادي بما لا تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك؟

فقال له عبد الله بن موسى: رأيت أخي الرضا عليه السلام وقد أجاب في هذه المسألة بهذا الجواب.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: إنما سئل الرضا عليه السلام عن نباش نبش قبر امرأة ففجر بها، وأخذ ثيابها، فأمر بقطعه للسرقة، وجلده للزنا، ونفيه للمثلة، ففرح القوم [1].

ملاحظات وفوائد:

1/ إن الإمامية في ذلك الوقت بل قبله قد نضجت عندهم ثقافة

(1) الطبري (الإمامي)؛ محمد بن جرير: دلائل الإمامة ص 390 / ويوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي (ت 664) في الدر النظيم ص 705.

الإمامة وما يرتبط بصفات الإمام، وكان من ذلك أن علم الشخص بأحكام الدين وآيات القرآن بعد النص عليه هو المقياس الأساس في إمامته، لا أنه ابن فلان أو أخ فلان أو بيده السلطة أو غير ذلك. بل كانوا يعتقدون بأن الإمامة بالإضافة إلى أنها نص من الله تعالى فإنها لا تجتمع في أخوين بعد الحسنين كما وردت به الروايات. ولأجل ذلك فإنهم لم يسلّموا لعبد الله بن موسى الكاظم حين تصدى وتصدر مع أنه أكبر سنًا من الإمام الجواد عليه السلام بعقود من السنين، إلا أن ذلك وحده لم يكن ليقنعهم بأن هذا هو الإمام. وحين أجاب بأجوبة هي على خلاف المقاييس التي يعرفها أصحاب الأئمة وتلاميذهم فإنهم حزنوا كثيرًا لتصديه لموقع ليس له، وهو ما عبرت عنه الرواية بأنهم ضجوا بالبكاء!

2/ إن أبناء الأئمة عليهم السلام لم يكونوا على مستوى واحد ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] فكما وجدنا السابق بالخيرات بإذن الله ممثلًا في الأئمة المعصومين المنصوص عليهم، فقد وجدنا أيضًا بينهم المقتصد الهادف والعامل بما عرف من آبائه الكرام كأحمد بن موسى بن جعفر

(1) سورة فاطر: 32.

الـذي كان علـى جلالـة شـأنه وعلـو معارفـه الدينيـة مسـلّما طائعًـا لأخيه علي بـن موسـى الرضا، ونظيـره فـي الفضل والطاعـة وعلو المنزلة علـي بن جعفـر الصادق الـذي سـلّم بالإمامـة والبيعة لابن ابـن أخيـه محمـد الجـواد، وكان يقـول: بـل أنا لـه عبد!!

كذلـك وجدنا مـن يظلم نفسـه بادعاء مـا ليس لـه من المنصـب بحق، فيقـدم نفسـه علـى أنـه الإمـام وهـو ليـس كذلـك، لا مـن جهـة التأهيـل الشـخصي ولا النـص الإلهـي! ولعـل هـذه الروايـة تشـير إلـى أن عبـد الله بن موسـى تصـدى لهـذا الموقـع من غيـر أن يكـون مـن أهلـه. وربما يكـون تراجـع فيمـا بعـد عـن هـذا ولـم يسـتمر فـي التصـدي ومزاحمـة الإمـام الشـرعي، حيـث لا نعثـر علـى مواقـف تفيـد هـذا المعنـى.

المجلس الرابع:

وقـد حصـل هـذا المجلـس فـي وقـت متأخـر مـن حيـاة الإمـام الجـواد عليه السلام وهـو فـي السـنتين الأخيرتيـن مـن اسـتقدامه وجلبـه مـن المدينـة سـنة 218 هـ بأمـر المعتصـم العباسـي، حتـى استشـهد فـي سـنة 220 هـ، وفي هـذه الفتـرة يفتـرض أن هـذا المجلـس قد تـمَّ عقده وجـرى فيـه مـا جـرى وكان مـن مقدمـات اغتيـال الإمـام عليه السلام بالسـم بتحريـض ابن أبـي دؤاد وتخطيـط المعتصـم وتنفيذ ابنـة أخ المعتصم وهـي زوجـة الإمـام أم الفضـل.

روى الشيخ محمد بن مسعود العياشي[1] في تفسيره في ذيل الآية المباركة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] عن زُرقان (لعلّه الزيّات محمّد بن عبد الله بن سفيان توفي سنة 283 هـ) وهو صاحب ابن أبي دؤاد قاضي المعتصم والواثق (ت 240 هـ) قال: «رجع ابن أبي دؤاد[3] ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم! فقلت له في ذلك فقال: وددت اليوم أني قد مِتُّ منذ عشرين سنة! قال قلت له: ولم ذاك؟

قال: لما كان من هذا الأسود[4] أبا جعفر محمد بن علي بن

(1) ذكره الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب2/ 490 فقال ـ ما ملخصه: محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، قال مشايخ الرجال انه ثقة صدوق عين من عيون هذه الطائفة وكبيرها جليل القدر واسع الاخبار بصير بالرواية مضطلع بها له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنف منها كتاب التفسير المعروف وكان في أول عمره عامي المذهب وسمع حديث العامة وأكثر منه ثم تبصر وتشيع.. وأنفق على العلم والحديث تركة أبيه وكانت ثلاثمائة ألف دينار وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قار أو معلق مملوة من الناس. ومن تلاميذه الشيخ أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي صاحب كتاب الرجال المشهور.

(2) سورة المائدة: 38.

(3) ابن أبي دؤاد هو أحمد بن أبي دؤاد الإيادي، عربي من إياد، ولد سنة 160إ هـ وتوفي240.. صحب هياج بن العلاء السُلمي صاحب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال. ورحل إلى العراق، وهناك اتصل بالخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. واعتقد ابن أبي دواد الإيادي بخلق القرآن، وأقنع الخلفاء بفرض هذه الفكرة على الناس. توفي في بغداد بعد إصابته بالفالج. فلما ولي المعتصم جعل ابن أبي دؤاد قاضي القضاة مكان يحيى بن أكثم، وكان كذلك قاضي القضاة في أيام الواثق. وفتن به المعتصم حتى ما كان يرد له طلبًا. وترجمته في المصادر تتأثر عادة بموقفه السلبي تجاه أهل الحديث والمعتزلة مدحًا وذما.

(4) يقصد الإمام الجواد، لكونه أسمر اللون، وليس سمرة اللون بل سواده بعيب، إنما سواد الفعل، وسواد المصير الذي كان عليه هذا القاضي الحسود، هو العيب.

موسى اليوم، بين يدي أمير المؤمنين المعتصم! قال قلت له: وكيف كان ذلك؟

قال: إن سارقًا أقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت من الكرسوع. قال: وما الحجة في ذلك؟ قال قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع. لقول الله في التيمم: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ﴾[1]. واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ في الغسل، دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين.

قال: دعني مما تكلموا به، أي شيء عندك؟ قال: أعفني عن هذا يا أمير المؤمنين. قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

(1) سورة المائدة: 6.

فقال: أما إذا أقسمت عليَّ بالله، إني أقول: إنهم أخطأوا فيه السنة فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف.

قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين. فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[1]، يعنى به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وما كان لله لم يقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع، دون الكف.

قال ابن أبي دؤاد: قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك حيًّا!

قال زُرقان: إنّ ابن أبي دؤاد قال: صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة (أيام)، فقلت: إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليَّ واجبة، وأنا أكلمه بما أعلم أني أدخل به النار!

قال: وما هو؟

قلت: إذا جمع أمير المؤمنين من مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما

(1) سورة الجن: 18.

عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده ووزرائه وكتابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدعون أنه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء[1]؟!

قال: فتغير لونه، وانتبه لما نبهته له وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيرًا[2].

فوائد وملاحظات:

1/ تجسد الرواية السابقة أصدق تجسيد شخصية (علماء السلاطين وفقهاء البلاط) فلو أردنا صورة تفصيلية كاملة لهم لما وجدنا أفضل منها، حيث يتمادى الإنسان في حب الدنيا وعبادة الطاغوت، ويكون كشارب ماء البحر كلما ازداد منه زاد عطشًا حتى يرد الهاوية! ولهذا حذر أئمة الهدى عليهم السلام

(1) هذا الأمر مفهوم في أجواء أهل الحكم والدنيا فتآمر بعضهم على بعض من أجل إظهار أنه أحرص على الخليفة والخلافة من غيره، وما يترتب عليه من تقريبه وإعطائه المناصب، وقد فعل ابن أبي دؤاد هذا مع غيره بل ممن قربه إلى قصور الخلفاء وهو يحيى بن أكثم، ومع الزيات محمد بن عبد الملك البغدادي المعروف بابن الزيات، الذي اتصل بالمعتصم فرفع من قدره ووسمه بالوزارة، وكان يرى رأي الاعتزال، وكان بينه وبين أحمد بن أبي داود القاضي عداوة شديدة فأغرى ابن أبي داود المتوكل عليه حتى قبض عليه وأدخله في تنور من الحديد فيه مسامير ليعذب فيه إلى أن مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.. مختصرًا عن السمعاني في الأنساب 3/ 183.

(2) العياشي؛ محمد بن مسعود: تفسير العياشي1/ 327.

العلماء والفقهاء[1] من اللجوء إلى سلاطين الدنيا! فهم بالإضافة إلى تحاقدهم فيما بينهم وتآمر بعضهم على البعض الآخر، وقفز تاليهم على كتف أولهم وهكذا! ويا ليت أن الأمر يتحدد بهذا المقدار بل يضيع هؤلاء البوصلة والاتجاه حتى يصلوا إلى التعدي على عباد الله بل أولياء الله من أجل أن يبقوا في مناصبهم! وهم يعلمون أن عملهم هذا نتيجته النار وسوء القرار، ولكن لا يمتلكون بعدما (أدمنوا) الدنيا إرادة العودة والتوبة، فترى هذا القاضي يصرح بأنه يعلم بأن

(1) الفيض الكاشاني: الوافي 15/ 178: في خطاب الإمام الحسين بن علي لهذه الفئة قال: «وقد ترون عهود اللَّه منقوضة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون وذمة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم محقورة والعُمْي والبُكم والزُّمْن في المدائن مهملة لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون ولا من عَمل فيها تعينون وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون كل ذلك مما أمركم اللَّه به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء.. كانت أمور اللَّه عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم أمور اللَّه في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات سلطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم فأسلمتم الضعفاء في أيديهم فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الجري بأهوائهم اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار..

ومثله كتاب ابنه الإمام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن شهاب الزهري (قاضي بني أمية) كما نقله ابن شعبة الحراني في تحف العقول عن آل الرسول 286 حيث جاء فيه:

فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غدًا مع الخونة، وأن تُسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة.. جعلوك قطْبًا أداروا بك رحى مظالمهم وجسرًا يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلّمًا إلى ضلالتهم، داعيًا إلى غيهم، سالكًا سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك! وما أيسر ما عمروا لك، فكيف ما خربوا عليك!.

سعيه ذاك وتحريضه المعتصم على الإمام الجواد يدخله النار، ولكنه مع ذلك يسير فيه!

2/ إن الخلفاء والسلاطين بمقدار ما (يستعملون) هؤلاء الفقهاء وفتاواهم، ويغدقون عليهم الأموال، ويأنسون بهم في سفراتهم وخلواتهم وشهواتهم، فإنهم لا يعتقدون بأن علمهم هو واقع الشريعة، ولذلك فإن مثل المعتصم عندما سمع الإمام يقول له بأن القوم قد تكلموا في الموضوع، أجابه: دعني مما تكلموا به، أيُّ شيء عندك؟

3/ إن التشيع في ذلك الوقت كان فاشيًا في الناس ومتميزًا بمنهجه الخاص ومن منهجه أنه لا يعترف للحاكمين العباسيين باستحقاق الخلافة، ولذلك فقد عبر القاضي ابن أبي دؤاد عن ذلك محذّرًا المعتصم بأن الجواد عليه السلام «رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدعون أنه أولى منه بمقامه».

4/ إننا نلاحظ أن هذه الرواية وأمثالها لا تنقل في كتب مدرسة الخلفاء، وأقصى ما يصنعه بعضهم كسبط ابن الجوزي أن يشير إلى أمثالها بأنها مذكورة في كتب الإمامية، وسر ذلك واضح وهو أن مثل هذه الروايات تهدم أسسًا وأركانًا

في عقائد تلك المدرسة، فكيف يهدمون بروايتهم ما بنوه بآرائهم؟ وكيف ينقضون ما أحكموا بناءه وساقوا الناس إليه؟

تحليل الخُمس
والوضع السياسي زمان الإمام

عن محمّد بن الحسن الصّفار، عن أحمد بن محمّد وعبد الله بن محمّد جميعًا عن عليّ بن مهزيار قال: كتب إليه أبو جعفر عليه السلام وقرأت أنا كتابه إليه في طريق مكة قال: إنّ الذي أوجبت في سنتي هذه وهذه سنة عشرين ومائتين فقط لمعنى من المعاني أكره تفسير المعنى كلّه خوفًا من الانتشار، وسأفسّر لك بعضه إن شاء الله إنّ موالي أسأل الله صلاحهم أو بعضهم قصّروا فيما يجب عليهم؛ فعلمت ذلك فأحببت أن أطهّرهم وأزكيهم بما فعلت من أمر الخمس في عامي هذا، قال الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (*) أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (*) وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ

تَعۡمَلُونَ ﴾[1] ولـم أوجب عليهـم ذلك فـي كلّ عام ولا أوجـب عليهم إلا الزّكاة التـي فرضهـا الله عليهم، وإنّمـا أوجبت عليهـم الخمس في سـنتي هـذه فـي الذّهـب والفضّـة التي قـد حـال عليهمـا الحـول، ولـم أوجـب ذلـك عليهـم فـي متـاع ولا آنيـة ولا دوابّ ولا خـدم ولا ربح ربحه فـي تجـارة ولا ضيعـة إلّا فـي ضيعة سأفسّـر لـك أمرهـا تخفيفًا منّـي عـن مَوالـيّ ومَنًّـا منـي عليهـم لمـا يغتـال السّـلطان مـن أموالهـم ولمـا ينوبهـم فـي ذاتهـم، فأمّـا الغنائـم والفوائـد فهـي واجبـة عليهـم في كلّ عام قـال الله تعالـى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾.[2]

فالغنائـم والفوائـد يرحمـك الله فهـي الغنيمـة يغنمهـا المـرء، والفائـدة يفيدهـا، والجائـزة مـن الإنسـان للإنسـان التـي لهـا خطـر، والميـراث الـذي لا يحتسـب مـن غيـر أب ولا ابـن، ومثـل عـدوّ يُصطَلَـم فيؤخـذ مالـه، ومثـل مـال يؤخـذ ولا يعرف لـه صاحـب، وما

(1) سورة التوبة: 103 ـ 105.
(2) سورة الأنفال: 41.

صار إلى مواليّ من أموال الخرمية الفسقة[1] فقد علمت أنّ أموالًا عظاما صارت إلى قوم من موالي، فمن كان عنده شيء من ذلك فليوصله إلى وكيلي، ومن كان نائيًا بعيد الشقّة فليتعمّد لإيصاله ولو بعد حين، فإنّ نية المؤمن خير من عمله، فأمّا الذي أوجب من الضّياع والغلات في كلّ عام فهو نصف السّدس ممّن كانت ضيعته تقوم بمؤنته، ومن كانت ضيعته لا تقوم بمؤنته فليس عليه نصف سدس ولا غير ذلك[2].

ونستفيد من هذه الرواية فوائد عبر الملاحظات التالية:

1/ إن هذه الرواية تامة سنَدًا عند علماء الإمامية على اختلاف مسالكهم في تصحيح الروايات وبالتالي فيمكن الاعتماد عليها والاستناد لمضمونها. وهي من جملة ما كتبه الإمام الجواد عليه السلام لأصحابه.

(1) الخرمية: احدى الفرق المنحرفة التي تستمد أصولها من مبادئ تشابه المبادئ الشيوعية في هذا الزمان، وتنتمي إلى المزدكية التي كانت في بلاد فارس، وينقل عنها بعض الأفكار الإباحية في العلاقة بين الجنسين، وينسب إليهم الإيمان بالثنوية، ووجود إله للخير وآخر للشر، ونشطوا خصوصًا بعد مقتل أبي مسلم الخراساني على يد المنصور العباسي في مناطق أذربيجان وخراسان، ورفعوا شعارات ثورية ضد الأوضاع القائمة وبها استقطبوا جموعًا من الناس، واستمرت حركتهم حيث حدثت بينهم وبين السلطات العباسية مواجهات متعددة كان منها ما حصل زمان المأمون العباسي عندما تحرك (بابك الخرمي) حوالي سنة 201 هـ، وقد أشارت الرواية المنقولة عن الإمام الجواد عليه السلام إليهم بعنوان (الفسقة) وهو يبين موقف الأئمة والشيعة منهم. ويظهر أيضًا أن شيعة أهل البيت قد اشتركوا في مقاومتهم ومحاربتهم وغنموا منهم غنائم أصبحت محل استحقاق للخمس.

(2) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) 9/ 501.

2/ إن تاريخ الرسالة يتوافق مع آخر سنة في حياة الإمام الجواد عليه السلام وهي سنة 220هـ. وفيها التخفيف على شيعته وإعفاؤهم من دفع الخمس[1] الواجب عليهم في كل ما كسبوه، عدا ما يرتبط بالذهب والفضة، وكان ذلك «تخفيفًا منّي عن موالي ومَنًّا مني عليهم لما يغتال السّلطان من أموالهم ولما ينوبهم في ذاتهم» فالإمام عليه السلام وهو يستشعر حاجة الناس وضيق ذات يدهم الناتج من تسلط الحاكمين، فيخفف عليهم في تلك السنة، وهي التي ستكون آخر سنوات حياته.

3/ من خلال هذه الرواية سيتضح أمور متعددة؛ منها أن لفظ الغنيمة والغنائم لا ينحصر في الحرب، وهذا هو جوهر الخلاف بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبين مدرسة الخلفاء، فهي تشمل الغنيمة التي يغنمها والفائدة التي يستفيدها والميراث غير المحتسب أو المتوقع، وهكذا.. وقد قرن الغنائم والفوائد

(1) الخمس في الإسلام هو كالزكاة واجب ديني في أموال المسلمين (في أصناف خاصة: كالغنائم الحربية والمعادن والكنز وارباح ومكاسب الانسان المسلم الفائضة عن مؤونته السنوية) ويساوي 20% من كل ذلك ولذلك يطلق عليه الخُمْس وفي الرواية بيان بعض أدلته الدينية. وفيما اقتصر فقهاء مدرسة الخلفاء على الأمور الثلاثة الأولى وجعلوه في بيت المال التزم الإمامية بأن أمره راجع إلى النبي في زمانه والإمام المعصوم ومن بعده الفقهاء المراجع في زمان غيبة الإمام الثاني عشر وبحسب الآية جعلوا مصرفه في شؤون فقراء الهاشميين وفي مصالح المسلمين تحت إدارة الإمام المعصوم أو نائبه العام..

في جملة واحدة واستدل عليهما بآية ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[1].

ومنها سيثبت أيضًا أن الخمس في أرباح المكاسب كان سيرة جارية بين الشيعة الذي يؤدونه إلى أئمتهم، بشكل مستمر، وللإمام الجواد منذ إمامته قبل نحو ستة عشر عامًا، حتى إذا جاءت هذه السنة 220 هـ خفف عليهم فلم يأمرهم بأدائه إليه. ومعنى هذا التخفيف والتوقف بالتالي كونه سيرة مستمرة سابقة! ومنه يكتشف أن ما يقال من أن الأئمة لم يكونوا يقبضون الخمس أو يطلبونه ليس صحيحًا[2].

بل إنه يؤكد في هذا على أن «من كان عنده شيء من ذلك فليوصله إلى وكيله، ومن كان نائيًا بعيد الشقّة فليتعمّد لإيصاله ولو بعد حين» ولينْوِ إيصاله ويخطط له فإنّ نية المؤمن خير من عمله.

وبمناسبة الحديث عن ضيق وضع الشيعة في زمان الإمام الجواد سنعرض إلى نقل صورة مختصرة عن وضع الإمام السياسي وشيعته في زمانه في نقاط:

(1) سورة الأنفال: 41.

(2) تفاصيل خمس أرباح المكاسب وتاريخه تجده في سلسلة: قصة تشريع العبادات في الإسلام للمؤلف.

الأولى: أن الإمام الجواد عندما آلت إليه الإمامة، كان في زمان المأمون العباسي (تولى الحكم 198 ـ 218 هـ) وقد مارس المأمون دورًا مزدوجًا شديد التعقيد مما جعل حقيقة شخصيته خافيةً على الكثير، وقد ذكرنا جانبًا من ذلك في كتابنا عن الإمام الرضا عليه السلام.

وما يرتبط بنا هنا هو أن الإمام الرضا عليه السلام، قد أخبر المأمون ـ والذي كان من الناحية النظرية يعتقد بصدق أخبار الإمام وعلمه الخاص ـ بأن عليه أن يرعى ابنه الجواد وألا يعتدي عليه فإن نهايتهما متقاربة، ومتى ما انتهى عمر الجواد سينتهي عمر المأمون![1] وبالتالي فإذا كان يريد البقاء على قيد الحياة ويستمر فيها فليحذر إنهاء حياة الإمام الجواد.

ولا ريب أن المأمون وأمثاله من الحاكمين يهمُّهم جدًا طول عمرهم واستمرار بقائهم، ومن جهة أخرى فإنه ـ لِما تبين له من صدق معارف الإمام الرضا ـ كان يعتقد أو لا أقل يظن بصدقه، ونحتمل أن هذا كان دافعًا له لكيلا يقوم بقتل الإمام الجواد، أو أنه اكتفى بقتل أبيه الرضا عليه السلام[2].

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 270.. فرفع الإمام طرفه إليه، ثمّ قال: أحسن يا أمير المؤمنين! معاشرة أبي جعفر عليه السلام فإنّ عمرك وعمره هكذا وجمع بين سبّابتيه.

(2) المصدر السابق / 246 بسنده عن صفوان بن يحيى قال: لما مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وتكلم الرضا عليه السلام خفنا عليه من ذلك.. قال صفوان: فأخبرنا الثقة أن يحيى بن خالد (البرمكي) قال للطاغي (هارون): هذا عليٌّ ابنه قد قعد وادعى الأمر لنفسه! فقال: ما يكفينا ما صنعنا بأبيه! تريد أن نقتلهم جميعًا؟

فمرت الأمور هادئة في زمان المأمون لا سيما وأنه قد ظهر له وعلى الملأ فضلُ الإمام الجواد في مناظراته المختلفة، ومناقشاته العلمية، وكان المأمون بواسطتها يكسر من غلواء الخط العباسي المعادي له شخصيًّا والذي كان يناصر أخاه الأمين سابقًا.

بل عقد له على ابنته زينب أم الفضل، في المجلس الأول المشهور ـ الذي مرَّ ذكره في صفحات سابقة ـ بعدما أفحم يحيى بن أكثم القاضي ومن وراءه، وإن كنا نعتقد أن الإمام عليه السلام قبل بذلك مجاراةً له. وربما نتعرض لبعض ذلك في الحياة الأسرية له.

ساعد على ذلك أن المأمون كان مقتنعًا بالتوجهات العقلية في الإسلام، ويحسب على التيار المعتزلي[1] في آرائه، وقد أحاط نفسه بعدد من العلماء الذين عرف عنهم الفكر الاعتزالي، ولا

(1) المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت في العصر الأموي ونشطت في العصر العباسي ولا سيما في زمان المأمون والمعتصم والواثق، ثم تراجعت في زمان المتوكل وقد غلبت على المعتزلة النزعةُ العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل حسب وصفهم، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرعٌ بذلك. وأنه إذا تعارض النص مع العقل قدموا العقل لأنه أصل النص، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، فالعقل بذلك موجبٌ، وآمرٌ وناهٍ.
ومن أهم آرائهم نفي رؤية الله، والقول بأن القرآن مخلوق: وقالوا إن الله كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة. ونفيهم علو الله، وتأولوا الاستواء، ونفيهم شفاعة النبي لأهل الكبائر من أمته. ونفيهم كرامات الأولياء، قالوا لو ثبتت كرامات الأولياء لاشتبه الولي بالنبي. عن الموسوعة الحرة ويكيبديا.

شك أن الجوامع المشتركة بين المدرسة العقدية لأهل البيت والأخرى الاعتزالية كثيرة لو استثنينا موضوع الإمامة وما يتصل به. فكان كل نصر يتحقق للإمامية في هذا يمكن للمأمون أن يضمه إلى حسابه، سواء في مباحث التوحيد والعدل أو حتى الفضائل وقضايا الآخرة.

الثانية: يضاف إلى ذلك أن الإمام الجواد عليه السلام رجع ـ سريعًا ـ إلى المدينة المنورة وبقي فيها من حوالي سنة 205 هـ إلى عشر سنوات تلتها، فلم يأت إلى بغداد وبالتالي كان في خارج دائرة الضوء، ومنطقة الصراع السياسي في بغداد، وهذا مكّنه من ممارسة أدواره التبليغية والإرشادية ونشر علوم آبائه وتربية تلاميذه وتلاميذ أبيه الرضا، ولعل من الملفت للنظر أننا نجد أن الرواة عن الإمام والتلامذة له، بلغ عددهم 193 راويًا كما عدهم الشبستري[1].

ولمعرفة الجهد العلمي الذي بذله الإمام الجواد عليه السلام في المدينة المنورة يكفي مراجعة كتاب مسند الإمام الجواد للشيخ العطاردي.

وقد انتهت هذه المرحلة بموت عبد الله المأمون العباسي سنة

(1) الشبستري؛ عبد الحسين: سبل الرشاد إلى أصحاب الإمام الجواد ص 285.

218 هـ، لتبدأ بعدها مرحلة شديدة زمان أخيه محمد المعتصم العباسي بن هارون (تولى الحكم من 218 الى 227 هـ)، وهي متأثرة إلى حد كبير بشخصية المعتصم نفسه الذي كان كما مرَّ في صفحات سابقة لا يحب العلم ولا يقدر أصحابه، وبالتالي فإن الإمام الجواد بالنسبة له لا يمثل شخصًا مهمًّا، بل إنه يصنف على أعدائه لما كان يعيشه العباسيون من هاجس المنافسة بينهم وبين الطالبيين، الأمر الذي كان يؤججه حصول ثورات من أحفاد آل أبي طالب (حسنيين وحسينيين). وهو لا يرى الإمام الجواد إلا ضمن هذا الإطار.

وزاد الطين بِلة وجود قضاةٍ وعلماء سيئين لديه، يحرضونه على الإمام وشيعته، كأحمد بن أبي دؤاد، فبالرغم من سوء يحيى بن أكثم ونظرائه من القضاة إلا أن سوءه لم يبلغ مرحلة تحريض الحاكم على عالم من علماء أهل البيت، فأقصى ما كان يقوم به مثل يحيى هو محاولة إحراج الإمام بأسئلة صعبة في رأيه، لكن هذا الوافد الجديد إلى بلاط المعتصم وهو أحمد بن أبي دؤاد الأيادي ـ سبقت ترجمته ـ تجاوز هذا المقدار ليحرّض المعتصم على الإمام الجواد مشيرًا عليه ـ كذبًا ـ بأن لديه القوة الكافية والنية للانقلاب عليه كما زعم حيث أنه يقول بإمامته شطر الأمة ونصفها!

الثالثة: إننا نلحظ: أن المعتصم العباسي لم يصبر على وجود الإمام وبقائه في المدينة فاستجلبه إلى بغداد في نفس السنة التي تولى فيها الحكم (19 رجب 218هـ) ثم لم يصبر على بقاء الإمام فقام باغتياله بالسم في نهاية سنة 220 هـ، وبقرينة أن الإمام عليه السلام قد حج في تلك السنة فنحن نحتمل أن قدومه إلى بغداد ـ مكرَهًا ـ كان في بدايات سنة 219 هـ. باعتبار أن المعتصم العباسي قد تولى الحكم بعد موت المأمون في شهر رجب 218 هـ.

هذا بناء على أن إخراج الإمام من المدينة إلى بغداد كان مرة واحدة، غير أن هناك رواية ينقلها الكليني في الكافي[1] تفيد بأنه عليه السلام استجلب مرتين إلى بغداد وأنه أخبر بعض أصحابه بأن الخروج الأول لا خوف عليه وإنما الاستجلاب الثاني هو الذي يخاف عليه منه.

وقد أرخت السفرة الثانية بأنه قد وصل بغداد في 28

(1) الكليني: الكافي1/ 371: عن إسماعيل بن مهران، قال: لمّا خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه: جعلت فداك! إنّي أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟
فكرّ بوجهه إليّ ضاحكا وقال: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة.
فلمّا أخرج به الثانية إلى المعتصم، صرت إليه فقلت له: جعلت فداك! أنت خارج فإلى من هذا الأمر من بعدك؟
فبكى حتّى اخضلّت لحيته، ثمّ التفت إليّ، فقال: عند هذه يخاف عليّ، الأمر من بعدي إلى ابني علي.

محرم 220هـ وأبقي فيها إلى أن سمه المعتصم بالتعاون مع زوجته أم الفضل بنت المأمون (بنت أخ المعتصم).

وتُنقَل بعض الحوادث - بشكل غير مرتب - في هاتين السفرتين، ولكنها تشير إلى طبيعة المعتصم العباسي وعلاقته التآمرية المتشنجة مع الإمام الجواد، وأنه كان سينتهي في هذه المسيرة إلى التخلص من الإمام.

فقد نقل ابن حمزة الطوسي في ثاقب المناقب عن ابن أورمة قال: إن المعتصم دعا جماعة من وزرائه وقال: اشهدوا لي على محمد بن علي بن موسى الرضا زورًا واكتبوا بأنه أراد أن يخرج.

ثم دعاه فقال: إنك أردت أن تخرج عليَّ!.

فقال: والله ما فعلت شيئًا من ذلك!

قال: إن فلانًا وفلانًا شهدوا عليك، وأحضروا فقالوا: نعم، هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك.

قال: وكان جالسًا في بهو، فرفع أبو جعفر عليه السلام يده وقال: اللهم إن كانوا كذبوا عليّ فخذهم!.

قال: فنظرنا إلى ذلك البهو يرجف ويذهب ويجيء، وكلما قام واحد وقع، فقال المعتصم: يا بن رسول الله، تبت مما قلت، فادع

ربك أن يسكنه. فقال: اللَّهم سكّنه! وإنك تعلم بأنهم أعداؤك وأعدائي.

وبالرغم من أن هذه الرواية وأمثالها تنقل في باب الكرامات والمعاجز إلا أن مقدمتها تشير إلى ما نحن بصدده من تآمر المعتصم العباسي ووزرائه على الإمام عليه السلام وترتيب المبررات من أجل القضاء عليه.

وهكذا ما نقله الشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) من أن أحمد بن أبي دؤاد القاضي، قد قال له المعتصم ـ وكأنّ في نيته أن يصنع ذلك كما يزعم ـ: ما ترى العلائية (الشيعة) تصنع ان أخرجنا إليهم أبا جعفر سكران ينشى مضمَّخا بالخلوق؟ (1)

وبالطبع فإن المعتصم العباسي الأحمق كان يحتمل أن الإمام كما هو حال سائر قضاته الذين يسهر معهم ويشرب، فهذا يلبس عمة وذاك يلبسها! وهذا ما يشير إلى جهله الذي سبق أن أشرنا إليه..

وسيجرب ابنه المتوكل العباسي فيما بعد المحاولة مع ابن الإمام الجواد، عليٍّ الهادي عندما كان المتوكل (محيي السنة كما

(1) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 2/ 417.

يلقبونه) يشرب الخمر، فجُلب له الإمام علي الهادي ليلًا وعرض عليه أن يشرب معهم! فواجهه بالرفض الحازم، مما سنأتي على ذكره في سيرة الإمام الهادي عليه السلام.

إن دين هؤلاء؛ من خليفة ظالم وقاض مرتزق هو هكذا للاستهلاك العام، أما الالتزام بأحكام الدين والفضيلة فليس إلا شعارات لخطب الجمعة والأعياد!

ولعل ما ينسب إلى دعبل بن علي الخزاعي في ذم المعتصم يشير إلى موقف كثير من شيعة أهل البيت عليهم السلام منه، في قوله عنه:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
كرام إذا عُدّوا وثامنهم كلب
وإني لأعلي كلبَهم عنك رفعة
لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

فإذا كان موقف المعتصم من دعبل الخزاعي هكذا وأنه أمر بقتله، لكن دعبلًا هرب واختفى مدة من الزمان، وموقفه من الإمام هو بتلك الصورة، فمن الطبيعي أن يكون تجاه عامة الشيعة سيئًا وعدوانيًّا، ولعل هذا ما يشير إليه الإمام الجواد في كتابه

الذي رواه علي بن مهزيار، وأنه قد خفف الإمام عنهم موضوع الخمس في سنة 220 هـ. وفيه إشارة إلى ما ينوبهم من جهة السلطان؛ وهو في أحد معانيه يحتمل أن يكون هناك تعديات مالية ومصادرات بغير حق للأملاك من جهة السلطة الفاسدة.. فكان أن خفف الإمام عليهم الأعباء المالية ودفع الخمس.

ونحن إلى الآن نرى أن موقف السلطات - في كثير من الأماكن - من دفع المؤمنين الخمس للمرجعية الدينية مشوب بالشك والممانعة بل ربما يجر إلى العقوبة والمصادرة! هذا مع أن المرجعيات الدينية ووكلاءها لا يحسبون أنفسهم بديلًا أو منافسا للحاكمين ولا الحاكمون يرون ذلك، فكيف كان الأمر في زمان الإمام عليه السلام حيث كان الحاكمون يعيشون القلق والترقب من حصول أو تنامي قوة الإمام وشيعته؟

كانت مواقف المعتصم العباسي تمهيدًا لاغتيال الإمام محمد الجواد عليه السلام بالسم، وسيأتي شيء من ذلك عند الحديث عن حياته الأسرية عليه السلام.

ومما تقدم يُعلم أن ما قاله الذهبي[1] من أنه قد «وفد على المعتصم فأكرمه وأجله» بعيد عن الحقيقة بعد المشرق عن

(1) الذهبي، شمس الدين (ت 748): تاريخ الإسلام ت بشار 5/ 446 قال: «وفد هو وزوجته عَلى المعتصم فأكرمه وأجلّه. وتُوُفّي ببغداد في آخر سنة عشرين شابّا طرِيًّا له خمسٌ وعشرون سنة».

المغرب، فإنه عليه السلام لم يَفِد وإنّما أُشخص واستجلب كُرهًا من مدينة جده عليه السلام وعلى غير رغبته وقد أخبر بعض أصحابه أنه يُخشى عليه في هذه السفرة الثانية بخلاف الأولى، وأما إكرامه وإجلاله فشاهده ما صنع معه من ترتيب شهود كذبة على أنه يخطط لانقلاب عليه، ولولا انه استعان بقدرة الله لكشف كذبهم وظهور الكرامة على يديه لأعلن على الملأ أنه متآمر على الخليفة (أمير المؤمنين!!).

وأين الإكرام وهو يفكر ـ لو كان له فكر ـ بأن يجعل الإمام عليه السلام وحاشاه من ذلك يشرب حتى يسكر وينتشي ثم يخرج مضمَّخًا بالخلوق والزعفران كما يفعل الخليفة وندماؤه!

وهكذا في قوله: إنه توفي شابًّا طريًّا له خمس وعشرون سنة! توفي هكذا؟ مع ذكر الكثير عنه أنه سُمّ بواسطة جهاز الخلافة العباسية! نعم هي شنشنة نعرفها من أخزم! وهل كان ينتظر من الذهبي غير ذلك؟

الحياة الأسرية للإمام الجواد عليه السلام

بالرغم مما يكتنف الحياة الأسرية للأئمة ـ بل لعامة الناس ـ من غموض وعدم إمكانية الاطلاع على التفاصيل وهذا ما تقتضيه طبيعة هذه الحياة، إلا أننا سوف نحاول الدخول إلى هذا الحريم الطاهر لنستوضح بعض الأمور، مثل زواجه بجارية يقال لها بجارية مغربية هي السيدة سُمَانة ويعبر عنها في الكتب بأنها أم ولد، فقد يتم التساؤل عن سبب ذلك؟ وكذلك قد يتساءَل عن سبب زواجه بأم الفضل بنت المأمون التي دست له السم في سنة 220 هـ؟ فلماذا يتزوج من هي هكذا؟ وكذلك سيتم الحديث عن أولاده ذكورًا وإناثًا.

أما بالنسبة إلى زواجه من السيدة سُمَانة[1] المغربية فالرواية من طريق الإمامية تقول إن أبا جعفر الجواد عليه السلام قد دعا أحد أصحابه وأخبره أن قافلة فيها رقيق قد قدمت وأن فيها جارية بكذا من الأوصاف، وأعطاه ثمنها ليشتريها، وهي التي ستكون أم أولاده

(1) ضبطها في أكثر كتب الشيعة الإمامية بضم السين، لكن مثلها في مصادر مدرسة الخلفاء بفتح السين عند تعرضهم لاسم سمانة بنت حمدان. كما يلحظ في تاريخ بغداد ولسان الميزان.

(علي الهادي وموسى المبرقع وبناته) وهي التي وصفها الإمام الهادي بقوله: «أمّي عارفة بحقّي، وهي من أهل الجنّة، ما يقربها شيطان مريد، ولا ينالها كيد جبّارٍ عنيدٍ، وهي مكلوءةٌ بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلّفُ عن أمّهات الصدّيقين والصالحين»[1].

وقد ذكرنا في أكثر من موضع[2] فلسفة نكاح المعصومين بالجواري، بل لاحظنا أن أكثر الأئمة عليهم السلام بدءا من الإمام جعفر الصادق وانتهاء بالإمام الحسن العسكري كانت زوجاتهم جواري وأمهات أولاد، وبالتالي كانت أمهات الأئمة من هذا الصنف!

فأم الإمام موسى الكاظم أم ولد اسمها حميدة، وأم الإمام علي الرضا أم ولد اسمها تكتم، وأم الإمام محمد الجواد أم ولد اسمها سبيكة وأم الإمام علي الهادي أم ولد اسمها سمانة وأم الإمام الحسن العسكري أم ولد اسمها سوسن وأم الإمام المهدي أم ولد اسمها نرجس[3].

وقد أنجبتْ هذه السيدةُ الكريمة للإمام الجواد كلَّ أولاده

(1) المسعودي: إثبات الوصية ص 228 وكأنه نقل عنه الطبري الإمامي في دلائل الإمامة، كما نقل عنه من تأخر عنه.

(2) منها في كتاب الحياة الشخصية لأئمة أهل البيت، وكتاب كاظم الغيظ الإمام موسى بن جعفر وغيرهما.

(3) ربما تنقل لهن أسماء أخر لكن هذا هو المشهور.

كما ذكرنا، ونحن نحتمل أن زواجه بها ربما كان في حدود سنة 211 هـ، وكان عمر الإمام عليه السلام حينها نحو 16 عامًا، بقرينة ولادة ابنه الأكبر[1] علي الهادي سنة 212 هـ كما عليه أكثر المؤرخين[2]وهناك قول بأن ولادته في سنة 214 هـ. وبعدها ولدت له ابنه الثاني موسى المعروف بالمبرقع[3] وهو جدُّ السادة الرضوية ببلدة قم، ثم أنجبت له البنات وهنَّ:

(1) تأتي ترجمة الإمام مفصلة في سيرته إن شاء الله تعالى.

(2) الكليني: الكافي1/ 545: قال في أحوال الإمام الهادي وُلد عليه السلام للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين.
وأما المفيد: في الإرشاد 2/ 297 فقال: وكان مولده بِصَرْيا من المدينة للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين..
وكذلك ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ 7/ 189 فقال: وكان مولده سنة اثنتي عشرة ومائتين.

(3) تختلف تقييمات الرجاليين والعلماء بشأن موسى المبرقع بن الإمام الجواد ففيما نقل الكليني رواية في الكافي 1/ 550 تشير إلى سوء حاله وسلوكه، واستغلال المتوكل العباسي اسمه للتشويش على عنوان ابن الرضا وتشويه سمعة أخيه الإمام الهادي عليه السلام، إلى الحد الذي قال فيها السيد الخوئي (لو صحت الرواية لدلت على نهاية خبث موسى وجرأته على الإمام عليه السلام) ولكنه ضعّفها لضعف راويها يعقوب بن ياسر إذ هو مجهول، ولكنه في المقابل لم يورد وصفًا يشير إلى وثاقته أو حسنه أو مدحًا أو غير ذلك في حقه سوى أنه روى عدة روايات عن أخيه الإمام علي الهادي.
وفي المقابل فقد ذكر بعضهم بعد أن نقل الرواية السابقة بأنه «قد روي أن موسى المبرقع قد تاب بعد ذلك وأناب واستقام» كما عن الشيخ الكوراني في كتابه الإمام الجواد ص 73.
والذين ذكروا شيئا من سيرته إنما ذكروا أنه جاء من الكوفة إلى قم سنة 256 هـ وهو يضع على وجهه برقعًا ولذلك سمي المبرقع، وأنه بقي مدة في قم فلم يستقبل بشكل حسن فغادرها إلى كاشان، وأنه طلب منه الرجوع إلى قم، فرجع واستقر فيها إلى حين وفاته. ويحتاج الأمر في تبين حاله إلى تحقيق أوسع من هذا.

1/ **حكيمة بنت الجواد**: وقد نقل عنها الكليني[1] خبرًا أنها رأت الإمام المهدي ليلة ولادته وبعد ذلك وهي راوية حديث ولادة الإمام المهدي المفصل، كما في كمال الدين للشيخ الصدوق[2]، وهي مدفونة في سامراء إلى جانب الإمامين أخيها الهادي وابنه العسكري عليهما السلام.

2/ **زينب بنت الجواد**: والذِّكْرُ الوحيد لها فيما عثرنا عليه؛ هو أنها بَنَت بناءً على قبر عمة أبيها فاطمة (المعصومة) بنت الإمام موسى بن جعفر المدفونة في قم. ويظهر أن أقدم مصدر للخبر هو تاريخ قم الذي نقل عنه العلامة المجلسي في البحار فقال: «تاريخ قم: للحسن بن محمد القمي، قال أخبرني مشايخ قم عن آبائهم أنه لما أخرج المأمون الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد في سنة مائتين من الهجرة خرجت فاطمة أخته تقصده في سنة إحدى ومائتين فلما وصلت إلى ساوة مرضت فسألت كم بينها وبين قم؟ قالوا: عشرة فراسخ، فقالت: احملوني إليها فحملوها إلى قم

(1) الكليني: الكافي 1/ 379.

(2) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة 454: بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه.. الى آخر الخبر.

وأنزلوها في بيت موسى بن خزرج بن سعد الأشعري، قال: وفي أصح الروايات أنه لما وصل خبرها إلى قم استقبلها أشراف قم وتقدمهم موسى بن الخزرج، فلما وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وجرها إلى منزله، وكانت في داره سبعة عشر يومًا ثم توفيت رضي الله عنها، فأمر موسى بتغسيلها وتكفينها وصلى عليها ودفنها في أرض كانت له وهي الآن روضتها، وبنى عليها سقيفة من البواري، إلى أن بنت زينب بنت محمد بن علي الجواد عليه السلام عليها قبة»[1].

3/ **ميمونة بنت الجواد**: لها ذكْرٌ من غير معلومات في عدد من المصادر[2] ومن الملاحظ في هذه المصادر اختلاف عدد البنات ما بين اثنتين وثلاث وأربع واختلاف أسمائهن[3] أيضًا.

(1) المجلسي: بحار الأنوار 48/ 292.

(2) ذكرت في حاشية الفصول المهمة في معرفة الأئمة 2/ 379 (ابن الصباغ) تحقيق سامي الغريري وأشار إلى أنها ذكرت في ينابيع المودّة: 385، الاتحاف بحبّ الأشراف: 64، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 368، كفاية الطالب: 458، الشجرة الطيبة.

(3) وأحيانًا يصل الاختلاف في الاسم إلى ذات المصدر الواحد؛ فأنت ترى الشيخ الحر العاملي رضوان الله عليه في إثبات الهداة 5/ 107 يذكر الحديث على أن اسمها حكيمة كما في صفحة 107: عن أحمد بن إبراهيم قال: دخلت على حكيمة بنت محمّد بن علي الرضا عليه السلام فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها؟ فسمَّتْ لي (يعني ذكرت أسماءَ) من تأتمُّ بهم، ثم قالت: والحجة بن الحسن بن علي فسمته، فقلت لها: جُعِلتُ فداكِ معاينةً أو خبرًا؟ فقالت: خبرًا عن أبي محمد عليه السلام..

بينما هو في ص 127 من نفس الكتاب يروي الخبر عن نفس الراوي بقوله: عن أحمد بن إبراهيم قال: دخلت على خديجة بنت محمّد بن علي عليه السلام سنة اثنين وستين ومائتين فكلمتها من وراء =

نعم ذكر العلامة المجلسي[1] في حديثه عن موسى المبرقع أخيهن أنه بعد رجوعه الى قم التحقت به أخواته؛ وذكر منهن ميمونة. وأنها كأختيها زينب وأم محمد مدفونات بجنب فاطمة بنت موسى الكاظم (المعصومة).

4/ **خديجة بنت الجواد**: يرد لها ذكْرٌ ورواية كما أشرنا في الهامش السابق بناء على بعض النسخ، وإن كان الأقرب أن الرواية ترتبط بالسيدة حكيمة، لموقعها المتميز في زمان الإمام الحسن العسكري، وبالذات في موضوع ولادة الإمام المهدي وما يرتبط بغيبته، وتنظيرها لمن سألها بأنه كيف يمكن الاقتداء بمن وصيته لامرأة، تنظيرها ذلك بما حصل للإمام علي بن الحسين عليه السلام حين كانت وصاياه ـ لفترة من الزمن ـ تخرج بواسطة العقيلة زينب سترًا عليه وحفاظًا له[2].

هذا كله ما يرتبط بزوجة الإمام السيدة سمانة وأولادها.

= حجاب وسألتها عن دينها، فسمت لي من تأتم بهم، ثم قالت: فلان بن الحسن وسمّته فقلت لها: جعلت فداك معاينة أو خبرا؟ قالت: خبرًا عن أبي محمّد عليه السلام.. الى آخر الرواية! فهناك حكيمة بنت الجواد وهنا خديجة. ويَبعُد أن تكون حادثتين بمعنى أنه دخل على حكيمة وأخرى على خديجة وجرى نفس السؤال وأجابت كل منهما بنفس الجواب!
وفي غيبة الشيخ الطوسي، ص 258 ذكر مصحِّحًا الكتاب أن الاسمَ في أصل الكتاب كان خديجة ولكنهما أثبتا حكيمة اعتمادًا على البحار وغيره.

(1) المجلسي: بحار الأنوار50/ 163.

(2) الطوسي: الغيبة 258.

وأما ما يرتبط بزوجته أم الفضل (زينب) بنت المأمون العباسي؛ فسيتضح الأمر من خلال النقاط التالية:

الأولى: أن الإقدام على التزويج في تقديرنا مرّ بمراحل ثلاث:

- تسميتها له وتعيين زوج لها، وهذا نحتمل أنه تمَّ في سنة 202 هـ في نفس الفترة التي تمَّ تزويج أختها لأبيه علي بن موسى الرضا عليه السلام، من قبل المأمون العباسي[1]، لأهداف كان يتوخاها المأمون.

ونحن نعتقد أنه لم يكن هناك مَفَرٌّ من قبول مثل هذا التزويج الذي يتقاتل الناس من أجله، بما يعني من القرب الأكيد من المنصب الأول في الدولة وما يجر ذلك من الأموال والمناصب والرفاهية الكاملة.. لم يكن هناك مفر من القبول حتى لو لم يكن الإمام عليه السلام راضيًا به من أعماق قلبه، فإن معنى ذلك إعلانُ المقاطعة ورفضُ (التشريف الملكي!) وهو ما لا يتحمله أهل الحكم، ولا ريب أن الحكمة هنا تقتضي القبول.

- في سنة 204 كما نحتمل تمَّ عقد أم الفضل للإمام الجواد في بغداد على أثَر المجلس المعروف الذي تبين فيه فضل

(1) قال الطبري في حوادث سنة اثنتين ومائتين: وفيها زوّج المأمون علي بن موسى الرضا ابنته أم حبيب وزوج محمد بن علي بن موسى ابنته أمّ الفضل. أقول: نعتقد أن الصحيح كان تسميتها لها وإلا فلا معنى لأن يزوجها إياه في سنة 202هـ ثم يعود ويعقد عليها له في سنة 204 ويخطب الإمام خطبة النكاح إلى آخر ما ذكرناه في الصفحات السابقة.

الإمام عليه السلام على قاضي القضاة يحيى بن أكثم، وقد مرَّ ذكره. ثم رجع الإمامُ عليه السلام إلى المدينة، من دون أم الفضل بنت المأمون، يعني لم يحصل دخول وحياة زوجية وإنما كان مجرد عقد نكاح.

ويشير إلى ما ذكرناه الكثير من الأخبار التي تؤكد «أنه لم يدخل على أم الفضل إلى سنة 215 هـ، عندما توجه المأمون إلى بلاد الشام والروم، فقد نص المؤرخون، ومنهم الطبري، والذهبي، وابن كثير، أنه لقي المأمون بتكريت، وأمره المأمون أن يدخل بزوجته أم الفضل»[1].

ومن ذلك ما قاله الطبري: حين ذكر خروج المأمون لغزو الروم «ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين.. فلما صار المأمون بتكريت قدم عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من المدينة في صفر ليلة الجمعة من هذه السنة ولقيه بها، فأجازه وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل وكان زَوَّجَهَا منه، فأدخلت عليه في دار أحمد بن يوسف التي على شاطئ دجلة فأقام بها، فلما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة، ثم أتى منزله بالمدينة فأقام بها»[2].

(1) الكوراني: الإمام محمد الجواد عليه السلام 76.
(2) الطبري، أبو جعفر (ت 310): تاريخ الطبري 8/ 623.

وفي نص أكثر تفصيلاً ينقله الخصيبي عن داود بن القاسم الجعفري (أبي هاشم) يظهر منها أن موضوع دخول الإمام بها كان محل اهتمام من قبل المأمون ومن غيره كالسيدة زبيدة زوجة هارون المكناة بأم جعفر، وأنها قالت للإمام الجواد أنها تحب أن يكون مع زوجته أم الفضل «بموضع واحد لتقر عيني وافرح واعرف أمير المؤمنين اجتماعكما»، ولكن هذه المحاولة لم تنته إلى النتيجة التي ترتجيها حيث يظهر أن أم الفضل طرقتها الدورة الشهرية في الوقت الذي كان مقررًا أن يجتمع إليها الإمام عليه السلام [1].

وبعد قضاء مدة[2] في بغداد رجع الإمام الجواد بأم الفضل إلى المدينة، وكان الإمام خلال هذه المدة كما نقلنا آنفًا قد تزوج منذ أكثر من أربع سنوات بسمانة وأنجب منها على الأقل ولديه الإمام الهادي وموسى المبرقع.

وكان من الطبيعي بالنسبة إلى مثل أم الفضل ألّا ترتاح إلى الحياة العادية الأقرب إلى الزهد والهدوء وهي التي عاشت حياة الترف والضجيج في القصور الملكية في بغداد، فكانت دائمة

(1) تفصيل الخبر في الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي، ص 303 وهناك كلام حول الخصيبي (أو الحضيني، أو الحصيني) وانتمائه إلى تيار الغلو، لكننا هنا لسنا في صدد إثبات أو نفي معجزة أو كرامة، وإنما في شرح خبر مختصر فيه تفصيل أجوائه.

(2) الطبري: المصدر السابق 8/ 623 «أنها أقل من سنة، بتصريحه بأنه «فلما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة، ثم أتى منزله بالمدينة فأقام بها».

التشكي من هذه الحياة، وكانت تراسل أباها بأن الإمام يتسرى عليها ويغيظها.. هذا بالرغم من أنه لم يعهد في حياة الإمام الجواد عليه السلام كثرة الجواري أو ما شابه.. ونحتمل أن هذا المبرر كانت تسوقه أم الفضل لكي يأذن لها أبوها بالرجوع إلى بغداد.

لا سيما أن شعورها ذلك كان من الطبيعي أن ينعكس على تعاملها مع الإمام عليه السلام، وشتان بين ما كانت عليه هذه من الصفات وبين سمانة التي تقدم ذكرها وذكر ما وُصِفت به.

ورفض أبوها المأمون مبرراتها المعلنة تلك بالقول إنه لم نزوجْكِ به لنحرّمَ عليه الحلال! وبقي الحال هكذا إلى أن توفي أبوها!

ومن الملفت للنظر وهو مشابه لحال الكثيرات[1] ممن كان زواجهن بالأئمة عليهم السلام من خارج الدائرة الملتزمة والمتفانية، أنهن لم ينجبن من الأئمة أي مولود؛ فهذا الإمام الجواد عليه السلام يفترض بقاؤه في بغداد من نهايات محرم سنة 215 هـ إلى قبيل وقت الحج ولنفترض أنهم يتجهزون له قبل شهرين يعني أنه كان معها مدة تسعة أشهر، وكلاهما شابان ولا مانع يمنع من الحمل سوى إرادة الله سبحانه! فلم يحصلْ لا في هذه الفترة ولا في الفترة التالية

(1) منهن أختها الكبرى أم حبيب مع أبيه الإمام الرضا عليه السلام، ومنهن جعدة بنت الأشعث زوجة الإمام الحسن بن علي المجتبى وغيرهن.

التي ستكون فيها في المدينة معه إلى حوالي سنة 218 هـ حين استدعاهما المعتصم إلى بغداد! فهل هناك تفسير لهذا الأمر[1] مع أنه أنجب خلال هذه الفترة بعدَ الولدين عليٍّ وموسى عددًا من البنات ـ تقدم ذكرهن ـ من مملوكته الفاضلة سمانة؟

الثانية: أن ما ذكره بعضهم من أن الإمام عليًّا الهادي أمه أم الفضل[2] خاطئ جزمًا! وكذلك ما ذكره آخرون من أنه يحتمل أو يقال[3]، فلا سبيل لقبوله بعد ملاحظة ما قدمنا من الكلمات. ومنها أن دخول الإمام الجواد بها وزفافها إليه كان بعد سنة 215 هـ بينما ولادة الإمام الهادي كانت في سنة 212 هـ على الصحيح بل حتى على القول الآخر من أن ولادته كانت في سنة 214 هـ.

---

(1) وقد احتمل الشيخ الكوراني في كتابه الإمام محمد الجواد عليه السلام ص 388 بأنها «قد تكون مريضة من صغرها بالمرض الذي عرف عنها في كبرها، وهو ناصور في موضع حساس»! وهو كلام قد يكون مقبولًا لولا أن قضية الناصور وإصابتها به في أعضائها الأنثوية كما ورد في الروايات، إنما كان بسبب دعاء الإمام عليها لتآمرها عليه واشتراكها مع أعدائه في عملية الاغتيال وهذا يقتضي أن يكون متأخرًا عن بداية زواجها وأنه إذا حصل لها فهو عقوبة ونتيجة دعاء الإمام عليه السلام.. فراجع ما سيأتي من الحديث عن موضوع اغتيال الإمام.

(2) موجز دائرة المعارف الإسلامية 23/ 7328: تأليف مجموعة من المؤلفين ورد فيه: وتقرر بعض المصادر أن والدته (الهادي) هي أم الفضل ابنة المأمون، وهى وفق مصادر أخرى أم ولد مغربية اسمها سمانة أو سوسن. والرواية الأخيرة هي الأكثر احتمالا.

(3) الدِّيار بَكْري (ت 966): تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس 2/ 287 في ذكره للإمام علي الهادي قال: يكنى أبا الحسن ويقال له أبو الحسن الثالث ولقبه الهادي لكنه مشتهر بالتقي أمه أم ولد اسمها سمانة وقيل أمه أمّ الفضل بنت المأمون.

اغتيال الإمام في خلافة المعتصم العباسي

بينما يقوم مؤرخو ومحدثو الاتجاه الرسمي والسلطوي في المسلمين بالتعمية على عملية الاغتيال بالسم التي تعرض لها الإمام عليه السلام في خلافة المعتصم العباسي، فإنهم لا يقدّمون ـ ولا يستطيعون تقديم ـ مبررٍ معقولٍ لموت شاب طريٍّ كما يقول عنه الذهبي في ذلك العمر المبكر وهو خمس وعشرون سنة!

ولم يكن الإمامُ الجوادُ من الشخصيات التي يمكن المرور عنها بتجاهل تام، بل لا بدَّ من ذكره في كتب الرجال والتاريخ والحديث؛ فماذا يصنع هؤلاء؟ يتحدثون عنه على أنه «توفي»[1] أو «قضى»[2].

(1) الخطيب البغدادي (ت 463): تاريخ بغداد ت بشار 4/ 88 قال «توفي يوم الثلاثاء، لخمسٍ خلون من ذي الحجة، سنة عشرين ومئتين ببغداد» وقال ابن خلكان (ت 681): وفيات الأعيان 4/ 175 وغيرهما كالذهبي بنفس الطريقة.

(2) الظريف والذي لا نستطيع تفسيره، وهل أنه من حيرة المؤلف أو من عبث من تأخر عنه ممن تولى الطباعة والتحقيق!! هو قول ابن الأثير في الكامل 6/ 18 عندما تحدث عن الإمام الجواد قال هكذا: «فَدُفِنَ بِها عِنْدَ جَدِّهِ مُوسى بْنِ جَعْفَرٍ، وهُوَ أَحَدُ الأئِمَّةِ عِنْدَ الإمامِيَّةِ، وصَلّى عَلَيْهِ الواثِقُ، وكانَ عُمْرُهُ خَمْسًا وعِشْرِينَ سَنَةً، وكانَتْ وفاتُهُ فِي ذِي الحِجَّةِ، وقِيلَ فِي سَبَبِ مَوْتِهِ غَيْرُ ذَلِكَ». ونسأل: ما هو ذلك السبب الذي قيل غيره؟ يفترض أنه قد قال مات بسبب كذا.. ثم يعقبه بالقول: وقيل في سبب موته غير ذلك.. فأين ذهب النص الأول؟

وإذا أراد أحدهم ألّا يخذلَ ضميره أضاف إلى ذلك قوله «ويقال إنه سُمَّ». [1]

إلّا أن مصادر الإمامية[2] وبعض مصادر مدرسة الخلفاء تشير إلى أن وفاته لم تكن طبيعية وإنما بفعل فاعلٍ، وأسهلُ طريقةٍ كانت متبعةً لدى العباسيين وأخفاها هي التسميم، وقد تحدثنا في كتابنا كاظم الغيظ [3] كيف أن هذه الطريقة والوسيلة استخدمها العباسيون لاغتيال خصومهم، بل أحيانًا منافسيهم في نفس العائلة من رجال ونساء!!

ولم نطّلعْ تاريخيًّا أيام العباسيين على حالةٍ تمَّ فيها الفحص على المتوفَّى وكشف سبب وفاته، وإنما كانت تطوى القضية وتسجل على أنها وفاة طبيعية إلا ما نُقل في شأن الإمام موسى بن

(1) الهيتمي المكي؛ أحمد بن حجر: الصواعق المحرقة ص 208.

(2) فمنهم علي بن الحسين المسعودي (ت 346) في إثبات الوصية والشيخ محمد بن علي الصدوق (ت 381) في كتابه الاعتقادات، والطبري الإمامي (ت القرن الرابع) في دلائل الإمامة ويأتي نقل الرواية عنه، والحسين بن عبد الوهاب (ت القرن الخامس) في عيون المعجزات حيث نقل رواية ذلك، وصرح الفتال النيسابوري (ت 508) في روضة الواعظين إلى أنه قبض ببغداد قتيلًا مسمومًا ونحوه ذكر ابن شهرآشوب في المناقب قبض ببغداد مسمومًا ونقل الرواية، وأبو الفتح الاربلي(ت 693)عبر بنفس العبارة ونقل المجلسي (ت 1111) في البحار عبارة الفتال النيسابوري مفتتحًا بها باب الحديث عن شهادته من دون تعليق عليها مما يشير إلى موافقته عليها، وصرح السيد نعمة الله الجزائري (ت 1112) في الأنوار النعمانية صرح بما سبق، وذهب الشيخ صالح آل طوق القطيفي إليه في رسائله، ونقل ذلك عن الشيخ الكفعمي أيضًا.. ولو أردنا التتبع لطال المقام ولكن أوردنا ما سبق كنماذج.

(3) آل سيف؛ فوزي: كاظم الغيظ؛ الإمام موسى بن جعفر 216.

جعفر[1] وهذا لم يكن من طرف السلطة وإنما هو بطلب من أحد أصحاب الإمام ﷺ، وأما غير هذه الحالة فلم نعثر على إجراء ولو شكلي بأن يكلف طبيب أو أطباء لكشف سبب الموت.

ولا سيما بالنسبة للإمام الجواد حيث قضي عليه وهو في عنفوان شبابه؛ ابن خمس وعشرين سنة! وهو إلى ذلك صهر الخليفة السابق المأمون فتكتسب القضية زخمًا إضافيًّا، لكن كل ذلك لم يكن نافعًا ما دام المتهم هو من داخل الجهاز الحاكم.

ونعتقد أن هناك أربعة أشخاص على الأقل تشاركوا في مؤامرة الاغتيال للإمام بدرجات متفاوتة من حيث التحريض والتخطيط والتنفيذ.

الأول: القاضي أحمد بن أبي دؤاد الأيادي؛ وقد مرَّ الكلام عنه فيما مضى من الصفحات وكيف أشار على المعتصم مدفوعًا بحسده للإمام واستكباره عن أن يشار إليه بأنه أخطأ الحكم الشرعي الصحيح، فكان هذا دافعًا له لتحريض المعتصم ـ الذي كان بدوره يريد التخلص من الإمام وجاء هذا التحريض ليوفر له المبرر والدافع ـ.

(1) من أن عليًّا بن سويد السائي قد طلب من طبيب نصراني كان مارًّا على موضع الجنازة.

الثاني: أم الفضل زوجة الإمام عليه السلام، التي نحتمل أنها ما كانت راغبة في هذه الزيجة أو منسجمة معها، كما ذكرنا ذلك في فصل الحياة الأسرية، وقد علل بعض المؤلفين تآمرها عليه بحسدها لسمانة التي كانت مقربة من الإمام ومنجبة له جميع أولاده، وغيرتها منه فانتقمت بهذه الطريقة[1]، ونحن وإن لم نقبل هذا التعليل إلا بكونه واحدًا من الأسباب الشخصية، لكننا نقبل ما نقلوه من دور لها في عملية التسميم والاغتيال، وقد حدث مثله كثيرًا في التاريخ[2]، ويستغل بعض المغامرين الزوجة المنحرفة عن زوجها أو صاحبة المشاكل معه لتنفذ لهم ما لا يستطيعونه.

أو قد تلتقي الرغبتان رغبة من الزوجة تنشأ من مشاكل شخصية وحسد وأحقاد مع رغبة سياسية من حاكم سيوفر للزوجة ما تتصوره من الحماية وأنها لن تطالها العقوبة فتقوم بذلك العمل.

(1) وروى الطبري في دلائل الإمامة / 395: «وكان سبب وفاته أن أم الفضل بنت المأمون لما تَسَرَّى ورزقه الله الولد من غيرها انحرفت عنه وسَمَّتْهُ في عنب وكان تسعة عشر عنبة، وكان يحب العنب، فلما أكله بكت..»

وبشكل أوضح قال الحسين بن عبد الوهاب في عيون المعجزات / 118: «ثم إن المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام وأشار إلى ابنة المأمون زوجته، بأنها تسمه لأنه وقف على انحرافها عن أبي جعفر، وشدة غيرتها عليه، لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها، ولأنه لم يرزق منها ولد، فأجابته إلى ذلك، وجعلت سمًا في عنب رازقي ووضعته بين يديه عليه السلام، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي..»

(2) ومثال ذلك استغلال معاوية بن أبي سفيان لجعدة بنت الاشعث في تسميم الإمام الحسن بن علي المجتبى مما شرحناه مفصلًا في كتابنا سيد الجنة؛ الإمام الحسن بن علي وغيرها.

الثالث: جعفر بن المأمون؛ وهو الذي كان ينتظر الخلافة بعد أبيه المأمون، لكن أباه عدل بها عنه إلى عمه المعتصم كما قالوا لأن هذا الأخير ضمن شخصيته العسكرية كان أنسب للخلافة التي كانت تواجه حركة بابك الخرمي المهددة لبقاء الدولة من الداخل وهجمات الروم من الخارج. وأظن أن نظرة خاطفة لما نقل عن حياته العابثة تكفي ليصرف أبوه النظر عن استخلافه.

ومع ذلك فمن الطبيعيِّ أن هذا يبقى طامحًا لأن يكون وليًّا للعهد وبالتالي خليفة بعد عمه المعتصم، فحاول الانسجام التام معه في خططه لكي يثق به ويوليه، ومن جهة أخرى لا نستبعد أن يكون متحركًا بدوافع شخصية في الانتصار لأخته أم الفضل من هذا (الطالبي)، الذي أخذ من اهتمام أبيه وتقديره (ما لا يستحقه) مضافًا إلى كونه ماجنًا خليعًا[1] ومثله لا يمكن أن ينسجم مع التقي الجواد أبي الهادي وابن الرضا حتى لقد قيل إن جعفرًا هذا هلَك عندما سقط في بئرٍ وهو سكران!

هذا الماجن كان كالواسطة بين عمه وبين أخته كما يشير إلى

(1) يندر أن تجد عنه خبرًا في تاريخه غير أخبار شرب الخمر والاستماع للغناء، والمنافسة على المغنيات! بل لا وجود لاسمه إلا في الكتب التي ألفت لهذا الغرض، فانظر إلى كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني وإلى كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري ونحوهما..

ذلك المسعودي في إثبات الوصية حيث قال: «لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبرون ويعملون الحيلة في قتله، فقال جعفر لأخته أم الفضل ـ وكانت لأمه وأبيه ـ في ذلك»[1].

الرابع: محمد المعتصم بن هارون العباسي: ولم يذهب هذا بعيدًا فقد ورث الاغتيال كابرًا عن كابر، وهو فرع تلك الشجرة الخبيثة التي أنتجت سُمَّ الإمام الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام، فلم يكن بِدعًا منه هذا الفعل والاتجاه.

ويظهر أن هذا الحاكم كان مشغولًا بأذية آل أبي طالب، وعلى خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد وكّل بالمدينة عمرَ بن الفرج الرُّخجي وكان معروفًا بنصبه وعدائه لهم فلقد «استعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي، فمنع آل أبي طالب من التعرضِ لمسألة الناس، ومنع الناس من البِرِّ بهم، وكان لا يبلغُه أن أحدًا أبرّ أحدًا منهم بشيء وإن قلّ، إلا أنهكه عقوبةً وأثقله غُرمًا، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر، إلى أن قتل المتوكل»[2] ونعتقد أنه هو الذي أشار عليه أيضًا بتسميم الإمام الجواد عليه السلام في محاولة فشلت في تحقيق هدفه.

(1) المسعودي: إثبات الوصية 227.

(2) الاصفهاني: مقاتل الطالبيين 395

فقد روى ابن حمزة في الثاقب عنه رواية أخفى هو بعض تفصيلاتها ولكنها تفضح هذا الوالي وخليفته فيما يرتبط بمحاولة الاغتيال فقال الرخجي هذا: «سمعت من أبي جعفر شيئًا لو رآه محمد أخي لكفر! فقلت: وما هو أصلحك الله؟ قال: إني كنت معه يومًا بالمدينة إذ قُرِّب الطعام فقال: أمسكوا. فقلت: فداك أبي، قد جاءكم الغيب؟ فقال: عليَّ بالخبَّاز، فجيء به فعاتبه وقال: من أمرك أن تسُمَّني في هذا الطعام؟ فقال له: جُعلتُ فداك، فلان! ثم أمر بالطعام فرُفع، وأتي بغيره»[1]!

لكن هذه المحاولة الفاشلة لم توقف مسلسل المحاولات الأخرى، ونعتقد أن وجود عدة روايات في كيفية التسميم ناظر إلى تعدد المحاولات فكل رواية تنقل محاولة من المحاولات، فإحداها كانت بمباشرة المعتصم نفسه عندما أرسل إليه شراب حماض مسموم، وأخرى بواسطة زوجته أم الفضل حينما سمته في عنب رازقي.

(1) الطوسي؛ ابن حمزة: الثاقب في المناقب 517: ويقصد أخاه محمدًا بن الفرج وكان من الموالين المخلصين للإمام الجواد بعكسه هو الذي كان من ولاة السلطة العباسية وأعداء أهل البيت، ويزعم بأن علم الإمام بأن الطعام مسموم سيجعل أخاه يغلو في الإمام ويكفر بذلك. وقد كشف الإمام في نفس هذه الرواية أن هناك من أمر الخباز الذي صنع الخبز بجعله مسموما، ومن البعيد أن يكون أحد يقوم بهذا العمل وهو غير مرتبط بالسلطة، ولهذا نعتقد أن عمر الرخجي قد أخفى أسماء المتآمرين. وبالطبع لم يحصل لهم أي مساءلة أو تعقب!

فالأولى ما رواها ابن شهرآشوب من أن المعتصم بعد أن استجلب الإمام الجواد من المدينة المنورة، وتظاهر بإكرامه، «ثم أنفذ إليه شراب حماض الأترج تحت ختمه على يدي أشناس (معاون المعتصم العسكري وغلامه التركي)، فقال: إن أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبي دؤاد، وسعد بن الخصيب وجماعة من المعروفين، ويأمرك أن تشرب منه بماء الثلج، وصنع في الحال»[1].

فقال: أشربها بالليل.

قال: إنه ينفع باردًا، وقد ذاب الثلج. وأصر على ذلك فشربها »[2]

ونعتقد أن الرواية الثانية هي الأحرى بالقبول لتعرضها إلى أكثر من جانب فهي تنسب الأمر إلى اجتماع الثلاثة: المعتصم وابن أخيه جعفر، وابنة أخيه أم الفضل، وهي الأكثر تفصيلًا، وتذكر نهايتها أن الإمام عليه السلام أكل من ذلك العنب المسموم، وتشير إلى

(1) هناك احتمال أن تكون هذه الرواية شارحة لما رواه العياشي في التفسير 1/ 327عن زرقان في تتمة خبر ابن أبي دؤاد القاضي حيث قال بعده: «.. فأمر يوم الرابع فلانًا من كتاب وزرائه بأن يدعوه إلى منزله فدعاه فأبى ان يجيبه، وقال: قد علمت اني لا أحضر مجالسكم، فقال: اني إنما أدعوك إلى الطعام وأحب ان تطأ ثيابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك وقد أحب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك فصار إليه، فلما أطعم منها أحس السم فدعا بدابته فسأله رب المنزل أن يقيم، قال: خروجي من دارك خير لك، فلم يزل يومه ذلك وليلة في خِلْفةٍ (يختلف لبيت الخلاء) حتى قبض صلى الله عليه وآله وسلم».

(2) شهرآشوب: المناقب 3/ 491.

دعاء الإمام عليها ببلاء لا ينستر، والمعتاد أن يُلجأ إلى أكثر الطرق سرية وكلما كان الأمر بين الزوجين فهو أدعى للسر بخلاف ما إذا كان من خلال البلاط حيث يمر الأمر بأشخاص متعددين من حضور وموظفين يتناقلون بينهم الكلام.. كما أن مضمونها قد ورد في دلائل الإمامة للطبري، وعيون المعجزات.

ونص الرواية هكذا «..لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبرون ويعملون الحيلة في قتله، فقال جعفر لأخته أم الفضل ـ وكانت لأمه وأبيه ـ في ذلك، لأنه وقف على انحرافها عنه وغيرتها عليه، لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها مع شدة محبتها له، ولأنها لم ترزق منه ولدًا، فأجابت أخاها جعفرًا، وجعلوا سمًّا في شيء من عنب رازقي، وكان يعجبه العنب الرازقي، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي، فقال لها: ما بكاؤك؟ والله ليضربنك الله بفقر لا ينجبر وبلاء لا ينستر. فبليت بعلة في أغمض المواضع من جوارحها، صارت ناسورًا ينتقض عليها في كل وقت، فأنفقت مالها وجميع ملكها على تلك العلة حتى احتاجت إلى رفد الناس، ويروى أن الناسور كان في فرجها. وتردى جعفر بن المأمون في بئر فأخرج ميتًا، وكان سكرانًا».[1]

(1) قال المسعودي في إثبات الوصية / 227 كما نقله كل من الحسين بن عبد الوهاب في عيون المعجزات / 118 والطبري الإمامي في دلائل الإمامة / 395 بعبارات قريبة مما ذكر.

ألقاب الإمام الجواد وكُناه

من الثابت في الفقه الإسلامي استحباب تكنية الولد منذ صغره، وإذا لم يُكنّ فيستحب له أن يكتني، والكُنْيَة هي ما بدئ بأب أو أم فيقال: أبو عبد الله مثلًا وللأنثى أم الحسين وهكذا.

ويستحب مناداته بكنيته إذا كان حاضرًا، ويعد نوعًا من التوقير والاحترام، ويحقق فائدة أنه لا يلحقهم النبز والكلمات غير الحسنة، فـ«الكُنية ـ بضمّ الكاف ـ ما صُدّر من الأعلام بأب أو امّ، كأبي الحسن وامّ كلثوم، وهي مستحبّة مضافة إلى الاسم؛ حذرًا من لحوق النبز وهو ما يكره من اللقب».

ويَدلّ عليه روايات:

منها: عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التهنئة بالولد متى؟ فقال: «إنّه قال: لمّا ولد الحسن بن عليّ هبط جبرئيل بالتهنئة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم السابع، وأمره أن يُسمّيه ويكنّيه...».

ومنها: ما روى معمّر بن خثيم، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال في حديث: «إنّا لنكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم».

ومنها: عن جابر قال: أراد أبو جعفر عليه السلام الركوب إلى بعض شيعته ليعوده، فقال: يا جابر الحقني فتبعته، فلمّا انتهى إلى باب الدار خرج علينا ابن له صغير، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «ما اسمك؟ قال: محمد، قال: فبم تُكنّى؟ قال: بعليّ، فقال له أبو جعفر عليه السلام: لقد احتضرت من الشيطان احتضارًا شديدًا، إنّ الشيطان إذا سمع مناديًا ينادي: يا محمّد يا عليّ ذاب كما يذوب الرصاص، حتّى إذا سمع مناديًا ينادي باسم عدوٍّ من أعدائنا اهتزّ واختال».

ومنها: ما في فقه الرضا عليه السلام: «سمّه بأحسن الأسماء، وكنّه بأحسن الكُنى»[1].

أبو جعفر:

وقد جرت سيرة الأئمة المعصومين على هذا، وفيما يرتبط بالإمام علي بن موسى الرضا فقد كنّى ابنه محمدًا الجواد عليه السلام بأبي جعفر مذ كان صغيرًا فكان يخاطبه به ويتكلم عنه باحترام بهذه الكنية، فهذا كاتب الإمام الرضا عليه السلام في خراسان يقول: «ما كان الرضا عليه السلام يذكر محمّدًا (الجواد) إلا بكنيته يقول: كتب إليّ أبو

(1) مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام: موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها1/ 190.

جعفر وكنت أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام وهو صبيّ بالمدينة فيخاطبه بالتعظيم وترد كتب أبي جعفر في نهاية البلاغة والحسن، فسمعته يقول أبو جعفر وصيّي وخليفتي من بعدي»[1].

ويلاحظ أن هذه الكنية لم تكن مرتبطة بوجود ابن حقيقي اسمه جعفر، وهذا من شأن الكنية فقد ترتبط بوجود ابن وقد لا يكون، ومع ذلك تكون هذه كنية الشخص بل قد يكون له أبناء ومع ذلك تكون كنيته بغيرهم! وبالفعل فمع أن الإمام أنجب عليّا الهادي وموسى المبرقع، إلا أن (أبا جعفر) بقيت كنية الإمام عليه السلام منذ صغره وإلى الأخير.

ولهذا فإن الرجاليين والفقهاء ينسبون الروايات التي يرد فيها ذكر كنية (أبي جعفر) وهي مشتركة بين الإمام الجواد عليه السلام وبين جده الأعلى الإمام محمد بن علي الباقر، من خلال معرفة ظروف الرواية وطبقة الراوي. وربما لهذا أضاف بعضهم للتعريف كلمة «الثاني»[2]، للتمييز وهي نفس الكلمة الواردة في دعاء رجب حيث وصف فيها الإمام الجواد بمحمد بن علي الثاني، ويلاحظ

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات4/ 384.

(2) بل قد يستفاد من بعض الروايات أن هذه الكنية بقيد الثاني كانت ثابتة للإمام الجواد في زمانه، فانظر إلى ما روي عن أبي هاشم الجعفري في الكافي1/ 164 حيث قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات.. (بناء على أن صفة الثاني من أبي هاشم نفسه). وهكذا في رواية أخرى من نفس الكتاب ص 166 وفي موارد أخرى متعددة، من قبل نفس الراوي ومن غيره..

أن الاسم ـ وكذا الكنية ـ مشترك بين الإمامين محمد بن علي الباقر ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام.

ابن الرضا:

وكما أن الكُنية قد تبدأ بـ (أب) أو (أم) فإنها يمكن أن تبدأ بـ (ابن) ومن ذلك مخاطبة أسباط رسول الله وأحفاد أمير المؤمنين بابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي الكنية التي كانت تسرهم بمقدار ما كانت تشحن صدور أعدائهم غيظًا حتى لقد خاض الأمويون ـ أيام الحجاج الثقفي وبعده ـ والعباسيون من أيام المنصور العباسي إلى نهاية الدولة العباسية ـ باستثناء أيام المأمون ـ المعارك الضارية لإثبات أنهم ليسوا أبناء رسول الله، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون.

فإنّ منْ كُنى الإمام الجواد عليه السلام التي عرف بها أنه «ابن الرضا»[1] ويظهر أن ذلك لما كان عليه الإمام علي بن موسى من الموقع العظيم في نفوس العلماء والفقهاء وأرباب الدولة بل عامة الناس،

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة 4/ 401 قال القاسم بن عبد الرحمن ـ وكان زيديّا ـ: خرجت إلى بغداد فبينا أنا بها إذ رأيت الناس يتعادون ويتشرفون ويقفون فقلت: ما هذا؟ فقالوا ابن الرضا ابن الرضا! فقلت: والله لأنظرنّ إليه، فطلع على بغلٍ أو بغلة فقلت لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون إنّ الله افترض طاعة هذا! فعدل إليّ وقال: يا قاسم بن عبد الرحمن ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ﴾[القمر: 24] فقلت في نفسي: ساحرٌ والله فعدل إليّ فقال: ﴿ءَأُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾[القمر: 25] قال: فانصرفت وقلت بالإمامة وشَهدت أنه حجة الله على خلقه واعتقدته.

إلى الحد الذي حصل عليه ما يكاد يشبه الاجماع، وحصل الرضا به والقبول عند الجميع. وسواء كان هذا اللقب له إلهيًّا كما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في حديث[1] وهو الصحيح أو كان كما هو الشائع عند مدرسة الخلفاء وفي أدبياتها من أن المأمون هو الذي لقبه بذلك، فإنه ينتهي إلى هذه الحقيقة.

وكأنّ الرضا إليه تنتهي الأسماء ولا حاجة للتعريف بغيره ما دام قد وصل الاسم إليه، فهذا ابن الرضا.. ولا حاجة للسؤال: من هو الرضا؟ أو أنه ابن من؟.

بل وجدنا هذه الكنية تعبر الزمان لكي يكَنّى بها الإمام الهادي وهو حفيد الرضا بل والإمام العسكري عليهما السلام والفاصلة بينه وبين جد أبيه تصل إلى نصف قرن من الزمان!

وكيف كان؛ فإن إحدى كُنى الإمام الجواد هي ابن الرضا عليهما السلام. وقد جمعت الكنيتان في نصٍّ واحد كما أورده الحر العاملي في كرامات الإمام عليه السلام.

(1) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الجواد عليه السلام 103 عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام أن قومًا: من مخالفيكم يزعمون أباك انما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده.
فقال: كذبوا والله وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سماه الرضا لأنه كان رضًا لله عز وجل في سمائه ورضًا لرسوله والأئمة من بعده صلوات الله عليهم في أرضه.
فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضا لله تعالى ولرسوله والأئمة عليهم السلام؟ فقال: بلى!. فقلت: فلم سمى أبوك من بينهم الرضا؟ قال: لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام.

«فعن علي بن أبي بكر بن إسماعيل قال: قلت لأبي جعفر بن الرضا عليه السلام إن لي جارية تشتكي من ريح بها، قال: ائتني بها، فأتيته بها فقال: ما تشتكين يا جارية؟ قالت: ريحًا في ركبتي، فمسح يده على ركبتها من وراء الثياب فخرجت وما اشتكت وجعًا بعد ذلك».[1]

وربما يكون التأكيد على هذه الكنية عند أصحابه وارتياحه إليها، ما تشير إليه من الامتداد في الإمامة واستمرار العلم، وأن هذا الشبل من ذاك الأسد!

وأما ألقابه: فكثيرة؛ أشهرها:

الجواد[2]:

ومعناه كما ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة كثرة العطاء؛ قال:

(1) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج 4، الحر العاملي، ص 401.

(2) ورد في كتاب إثبات الهداة 2/ 99 للحر العاملي (ت 1104 هـ) بهذا النص مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وآله: «ومن أحب أن يلقى الله وقد رفعت درجاته وبدلت سيئاته حسنات فليتوال محمدًا الجواد..» وقد نقله عن كتاب الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ص 207، لشاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان ت حوالي 660 هـ)، إلا أن الموجود في كتاب مقتضب الأثر ص 13، لأحمد بن عبيد الله بن عياش الجوهري، (ت 401) وهكذا كتاب الأربعين المنشور في سلسلة ميراث حديث شيعه، ج 5، بواسطة مهدى مهريزى وعلي صدرائي خويى، ص 102 من تأليف محمد بن أبي الفوارس والمتوفى في القرن السادس أثبت النص من دون لقب الجواد.
والذين جاؤوا من بعدهما اعتمدوا كما يظهر أحد المصدرين، فأثبتوا اللقب في الحديث أو أغفلوه.
لكنه أعرف الألقاب وأشهرها عند المؤمنين به وغير المؤمنين بإمامته، حتى لا يكاد ينصرف عند الاطلاق إلى غيره وقد نص عليه المحدثون والمؤرخون من مدرسة الخلفاء فقد قال سبط ابن الجوزي: «فصل ـ في ذكر ولده محمد الجواد... وكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والجود». وقال الصّفدي: «كان من سروات آل بيت النبوّة، زوّجه المأمون بابنته.. وكان من =

«(جَوَدَ) الجِيمُ والواوُ والدّالُ أصْلٌ واحِدٌ، وهُوَ التَّسَمُّحُ بِالشَّيْءِ، وكَثْرَةُ العَطاءِ. يُقالُ رَجُلٌ جَوادٌ بَيِّنُ الجُودِ، وقَوْمٌ أجْوادٌ. والجَوْدُ: المَطَرُ الغَزِيرُ. والجَوادُ: الفَرَسُ الذَّرِيعُ والسَّرِيعُ، والجَمْعُ جِيادٌ. قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾[1]»[2].

وقد يكون العطاء وكثرته في المال، وقد يكون في العلم وهكذا، وقد رأينا في حياة الإمام الجواد أنه بدأ بالعطاء المالي السخي منذ كان صغيرًا من حيث العمر، وقد تربى على هذا الأساس، بالرغم من أن من كانوا يحيطون به يحاولون أن يمنعوه عن ذلك المقدار من السخاء والعطاء، ومن المعتاد أن تعلق الإنسان صغير السن بالمال وإحساسه بالتملك يكون عاليًا، لكننا وجدنا في حياة الإمام الجواد غير ذلك، لا سيما وأبوه الرضا يحثه ويحرضه على الجود والسخاء وأن لا يلتفت إلى ما كان يعمله المرافقون من وسائل وطرق لكي (يوفروا!) على ابن الرضا عطاياه، ويحرموا منها أرحامه والمحتاجين من غيرهم.

= الموصوفين بالسخاء، ولذلك لقّب بالجواد، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر» وقال الذهبي: «كان محمّد يلقّب بالجواد وبالقانع والمرتضى، وكان من سروات آل بيت النبي صلى الله عليه وآله.. وكان أحد الموصوفين بالسخاء فلذلك لقّب بالجواد..»، وذكره ابن حجر العسقلاني بهذا الوصف في لسان الميزان.. وغيرهم كثير.

وأما شيعة أهل البيت عليهم السلام فلا تكاد أحد يذكره إلا بهذا اللقب الذي صار كالعلَم بالنسبة إليه عليه السلام.

(1) سورة ص: 31.

(2) مقاييس اللغة 1/ 493.

«فعن ابْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام يَا أَبَا جَعْفَرٍ بَلَغَنِي أَنَّ الْمَوَالِيَ إِذَا رَكِبْتَ أَخْرَجُوكَ مِنَ الْبَابِ الصَّغِيرِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ بُخْلٍ مِنْهُمْ لِئَلَّا يَنَالَ مِنْكَ أَحَدٌ خَيْرًا وأَسْأَلُكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ لَا يَكُنْ مَدْخَلُكَ ومَخْرَجُكَ إِلَّا مِنَ الْبَابِ الْكَبِيرِ فَإِذَا رَكِبْتَ فَلْيَكُنْ مَعَكَ ذَهَبٌ وفِضَّةٌ ثُمَّ لَا يَسْأَلُكَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتَه ومَنْ سَأَلَكَ مِنْ عُمُومَتِكَ أَنْ تَبَرَّه فَلَا تُعْطِه أَقَلَّ مِنْ خَمْسِينَ دِينَارًا والْكَثِيرُ إِلَيْكَ ومَنْ سَأَلَكَ مِنْ عَمَّاتِكَ فَلَا تُعْطِهَا أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةٍ وعِشْرِينَ دِينَارًا والْكَثِيرُ إِلَيْكَ إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَرْفَعَكَ اللَّه فَأَنْفِقْ ولَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْتَارًا»[1]

عطاياه لأصحابه

ونلحظ في ضمن عطاياه اهتمامًا خاصًا بأصحابه الحاملين علومه وعلوم آبائه، فتارة يقومون بسؤاله ويعطيهم وأخرى يبادرهم بالعطاء قبل المسألة، وقد استقصى الشيخ الخزعلي في موسوعة الإمام الجواد عليه السلام[2]، عددًا من القصص والحوادث التي تشير إلى هذا، فمن ذلك:

1/ ما رواه علي بن مهزيار الأهوازي قال: «رأيت أبا جعفر الثاني عليه السلام

(1) الكليني: الكافي (مُشَكَّل)4/ 43.
(2) المصدر نفسه 1/ 425.

يصلي الفريضة وغيرها في جبة خز طاروني، وكساني جبة خز وذكر أنه لبسها على بدنه وصلى فيها وأمرني بالصلاة فيها»[1].

2/ وكذلك الحسن بن علي الوشاء فقد قال: «كنت بالمدينة بـ (صريا) في المشربة مع أبي جعفر عليه السلام فقام وقال: لا تبرح! فقلت في نفسي كنت أردت أن أسأل أبا الحسن الرضا عليه السلام قميصًا من ثيابه فلم أفعل فإذا عاد إلي أبو جعفر عليه السلام أسأله.

فأرسل إلي من قبل أن أسأله، ومن قبل أن يعود إلي وأنا في المشربة، بقميص وقال الرسول: يقول لك: هذا من ثياب أبي الحسن التي كان يصلي فيها»[2].

3/ وكذلك محمد بن سهل بن اليسع فقد قال: كنت مجاورًا بمكة، فصرت إلى المدينة، فدخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام وأردت أن أسأله كسوة يكسونيها، فلم يُقضَ لي أن أسأله، حتى ودعته وأردت الخروج فقلت: أكتب إليه وأسأله. قال: فكتبت إليه الكتاب، فصرت إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أن أصلي ركعتين وأستخير الله مائة مرة، فإن وقع في قلبي أن أبعث إليه

(1) الصدوق: من لا يحضره الفقيه 1/ 294: وقد استفاد الفقهاء من هذا النص جواز الصلاة في ثوب من جلد الخز ووبره، و« هو دابّة ذات أربع تصاد من الماء ذكاتها كذكاة السمك» كما في شرح اللمعة الدمشقية في الفقه.

(2) الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح 1/ 388.

بالكتاب، بعثت به، وإلا خرقته ففعلت، فوقع في قلبي أن لا أفعل. فخرقت الكتاب، وخرجت من المدينة، فبينما أنا كذلك إذ رأيت رسولًا ومعه ثياب في منديل يتخلل القطار، ويسأل عن محمد بن سهل القمي حتى انتهى إلي، فقال: مولاك (يعني الإمام) بعث إليك بهذا. وإذا ملاءتان. قال أحمد بن محمد: فقضى الله أني غسلته حين مات، وكفنته فيهما[1].

4/ ومنها ما ذكره محمد بن إسماعيل بن بزيع، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام أن يأمر لي بقميص من قُمُصه أعده لكفني، فبعث به إلي، قال، فقلت له: كيف أصنع به جعلت فداك؟ قال: انزع أزراره[2].

5/ ومنها ما ذكره محمد بن الفرج، قلت: ليتني إذا دخلت على أبي جعفر عليه السلام كساني ثوبين، فدخلت عليه بشرف[3] وعليه رداء قطواني يلبسه، فأخذه وحوّله من هذا العاتق إلى الآخر، ثمّ إنّه أخذ من ظهره وبدنه إلى آخر يلبسه خلفه.

فقال: أحرم فيهما، بارك الله لك[4].

(1) المصدر نفسه 2/ 184.
(2) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ج 2، الشيخ الطوسي، ص 98.
(3) في مدينة المعاجز «بسرف»: هو موضع على ستة أميال من مكّة من طريق مرو خراسان.
(4) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ص 518.

سخاؤه وجوده على عامة الناس:

وإذا كان هذا التكريم لأصحابه بثياب الخز وقمصانه التي صلى فيها يلتمسون منها البركة، فإن عامة الناس أيضًا كان يشملهم عطاؤه وخيره، فقد عوض (جماعة) من الحجاج الذين سلبت أموالهم في طريق الحج، فيما رواه ابن حديد قال: خرجنا جماعةً حجّاجًا، فقطع علينا الطريق، فلما دخلنا المدينة، لقيت أبا جعفر عليه السلام في بعض الطرق فأتيته إلى المنزل، فأخبرته بالذي أصابنا، فأمر لي بكسوة، وأعطاني دنانير، وقال: فرقها على أصحابك، على قدر ما ذهب لهم. فقسمتها بينهم فإذا هي على قدر ما ذهب منهم لا أقل منه ولا أكثر[1].

وأتاه عليه السلام رجلٌ، فقال له: أعطني على قدر مروّتك؟

فقال عليه السلام: لا يسعني. (يعني مروءتي أعظم من أن تحيط بها قدرتي المالية).

فقال: على قدري؟

قال عليه السلام: أمّا ذا، فنعم! يا غلام! أعطه مائة دينار.

وقد لا يكون العطاء لضرورة، أو للقيام بواجب، بل قد يكون لمثل

(1) الراوندي: مصدر سابق 2/ 185.

الذهاب لبيت المقدس، ومع ذلك فإن الإمام عليه السلام لا يتوقف عن العطاء لمن استعطاه في ذلك، بعدما كان الجواد بقول مطلق، متخلقًا بخلق خالقه سبحانه وتعالى فعن منخل بن علي: لقيت محمد بن علي عليهما السلام بسرّ من رأى، فسألته النفقة إلى بيت المقدّس، فأعطاني مائة دينار.

وإعانته للناس في مواجهة ظروف الحياة الصعبة، كانت خلقه الدائم فعن إسماعيل بن عبّاس الهاشمي، قال: جئت إلى أبي جعفر عليه السلام يوم عيد، فشكوت إليه ضيق المعاش، فرفع المصلّى فأخذ من التراب سبيكة من ذهب، فأعطانيها[1].

وقد ذكر ابن شعبة الحرّاني أنّ جمّالا حمل أبا جعفر الثاني عليه السلام من المدينة إلى الكوفة[2]، فكلّمه في صلته؟ وقد كان أبو جعفر عليه السلام وصله بأربعمائة دينار.

وعندما سأله أحد شيعته أن يشفع له عند والي منطقته لتُحَط عنه الضرائب المجحفة بأمره، وأخبره أن الوالي ممن يقبل شفاعة الإمام ويتشرف بتنفيذها بادر الإمام إلى ذلك، وأخذ القرطاس وكتب إليه رسالة فيها.. أن أحسن إلى إخوانك..

(1) ذكرها وغيرها ابن حمزة الطوسي في الثاقب في المناقب، ونقلها عنه وعن غيره الشيخ أبو القاسم الخزعلي في موسوعة الإمام الجواد عليه السلام ج 1.

(2) ربما يكون ذلك حين كان في طريقه إلى بغداد عندما استدعاه المأمون أو في طريق عودته منها.

ولو أردنا أن نتتبع الموارد المختلفة الشاهدة على جوده وسخائه على الناس لطال بنا المقام لكننا نكتفي بهذه الأمثلة.

ومن ألقابه التي لقبه بها إياه أبوه الرضا عليهما السلام:

شبيه عيسى وموسى:

وقد ورد هذا اللقب في كلام الإمام الرضا عليه السلام «فلما وُلِد أبو جعفر عليه السلام قال الرضا عليه السلام لأصحابه: قد ولد لي شبيه موسى بن عمران عليه السلام فالق البحار وشبيه عيسى بن مريم عليه السلام قُدّسَت أمٌّ ولدته..»[1].

شبيه عيسى:

ونحن نجد التشبيه بعيسى بن مريم حاضرًا في تراث المسلمين، فقد شُبّه أبو ذر الغفاري به كما في حديث رسول الله: «أبو ذر في أمتي شبيه عيسى بن مريم في زهده وورعه»[2] وهنا نلاحظ أن التشبيه بعيسى كان في جهة واحدة وواضحة بحسب النص وهي الزهد والورع، وأما في تشبيه الإمام الرضا عليه السلام ابنه بعيسى فقد أطلق فيه التشبيه ولم تذكر جهته؛ وهنا يحتمل أن يكون التشبيه ناظرًا إلى صغر السن والعمر وقيامه بالحجة الإلهية

(1) عبد الوهاب: عيون المعجزات 112.

(2) الطبرسي: الاحتجاج 1/ 235، والاستيعاب، لابن عبد البَر 1/ 259.

في ذلك السن وقد تؤيد هذا التشبيه قرائن في الروايات التي ذكرت التشبيه حيث كان موضوع صغر سن الإمام محل سؤال[1]. كما مرَّ أو يأتي بعض الشواهد على ذلك.

كما أنه يحتمل أن يكون هذا التشبيه ناظرًا إلى ما سيجري عليه من الكرامات في شفاء المرضى الذين تبركوا بيده الكريمة، مما لا يكون شفاؤهم على يده من منشأ طبي معتاد؛ ومن ذلك:

ما قاله أَبُو سَلَمَة: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَكَانَ بِي صَمَمٌ شَدِيدٌ فَخُبِّرَ بِذَلِكَ لَمَّا أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَدَعَانِي إِلَيْهِ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى أُذُنَيَّ وَرَأْسِي ثُمَّ قَالَ: اسْمَعْ وَعِهْ فَوَ اللَّهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ الشَّيْءَ الْخَفِيَّ عَنْ أَسْمَاعِ النَّاسِ مِنْ بَعْدِ دَعْوَتِهِ[2].

ومنه عن محمّد بن عمير بن واقد الرازي قال: دخلت على أبي جعفر بن الرضا عليهما السلام ومعي أخي وبه بَهْرٌ شديدٌ (مثل الربو وضيق التنفس) فشكا إليه ذلك البهر فقال: عافاك اللَّه ممّا تشكو فخرجنا من عنده وقد عوفي فما عاد إليه ذلك البهر إلى أن مات.

(1) المسعودي: إثبات الوصية 219 عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: يهب الله لي غلامًا. فقد وهب الله وأقرّ عيوننا فلا أرانا الله يومك، فإن كان كونٌ فإلى منْ؟
فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو نائم بين يديه فقلت: جعلت فداك هو ابن ثلاث سنين. قال: وما يضرّه ذلك؟ قد قام عيسى بالحجّة وهو ابن ثلاث سنين.

(2) ابن شهر آشوب: المناقب4/ 390.

ونفسه محمّد بن عمير وقد رأى هذه الكرامة من الإمام، قال: وكان يصيبني وجع في خاصرتي في كلّ أسبوع ويشتدّ ذلك بي أيّامًا، فسألته أن يدعو لي بزواله عنّي، فقال: وأنت فعافاك اللَّه، فما عاد إلى هذه الغاية[1].

فقد تكون جهة التشبيه أيضًا ناظرة إلى هذا الجانب من شفاء الأمراض المستعصية من غير مناشئ طبية معتادة وإنما ذلك بإذن الله كما في عيسى المسيح الذي كان يبرئ الأكمه والابرص بإذن الله.

شبيه موسى:

ثم إنه قد ورد في نفس النص تشبيه الإمام ابنه الجواد بالنبي موسى بن عمران عليه السلام.

فما هو وجه المشابهة؟

احتمل بعض الكتاب بأنّ وجه المشابهة هو: «أن الإمام الجواد عليه السلام قد شاءت المصلحة الإلهية ألّا يولد في أيّام شباب الوالد عليه السلام، بل ولد يوم كان عمر الإمام الرضا عليه السلام خمسة وأربعين سنة تقريبًا[2]، وهذا التأخير كان تمحيصًا شديدًا وابتلاءً عظيمًا

(1) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 3، علي بن أبي الفتح الإربلي، ص 159.
(2) ذكرنا في الفصل الأول من سيرته أنه ولد وعمر الإمام الرضا عليه السلام 47 سنة.

للمؤمنين ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1]، بحيث إنّ البعض قد بدأ يُشكّك في مصداقية إمامة الإمام الرضا عليه السلام لعدم وجود عقب له، فمن هذه الجهة تشابهت قصّة ولادته عليه السلام بموسى عليه السلام، حيث إنّ بني إسرائيل يئسوا من ظهور المنقذ لهم من ظلم فرعون بسبب تأخيره، حتّى أتاهم بعد فترة من الامتحان والاختبار»[2].

ويحتمل أن يكون وجه المشابهة هو في اللون، حيث عرف عن الإمام الجواد أنه أسمر، ونُقل في التفاسير[3] أن النبي موسى بن عمران كان أسمر اللون شديد السمرة، ولعله بالإشارة إلى هذا يريد أن يقول إن سُمرة موسى بن عمران، لم تمنع من اصطفاء الله إياه للنبوة وأن تجري على يده أعظم المعجزات كفلق البحر كما جاء في القرآن الكريم، فهل ستمنع سمرةُ اللون إمامةَ الإمام الجواد عليه السلام؟

(1) آل عمران: 179.

(2) https//www.erfan.ir.arabic

(3) فقد قال الشيخ الطوسي في التبيان في تفسير القرآن 4/ 492 «وكان موسى عليه السلام أسمر شديد السمرة. وقيل: أخرج يده من جيبه فإذا هي: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾[القصص: 32] يعني برص. ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول.
ومثله قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 7/ 258: وكان موسى أسمر شديد السمرة، ثم أعاد يده إلى جيبه فعادت إلى لونها الأول.
وفي روايات مدرسة الخلفاء روي عن النبي صلى الله عليه وآله وصفه بأنه آدم أي أسمر وأنه يشبه رجال الزط أي السودان كما في صحيح البخاري 4/ 141: «واما موسى فآدم جسيم سَبط كأنه من رجال الزُّط».

- ويحتمل أن يكون وجه المشابهة هو اصطفاء الله إياه عليه السلام كما اصطفى نبيه موسى، على سائر الناس في زمنه مع أنه في رأيهم لا يستحق ذلك! ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1] فبينما صدّقَ مثل علي بن جعفر ذلك واعتبر أن التسليم له مفروض ما دام الانتخاب إلهيًّا، فماذا أصنع إن كان الله قد أهّل هذا الغلام للإمامة ولم يرَ هذه الشيبة ـ يقصد نفسه ـ أهلًا لها؟

وهل هناك مشابهة بين عصا موسى التي التهمت ما كان يصنع السحرة الذين جُمعوا لتحديه وبين براهين الإمام التي قلبت موازين العباسيين الذين أعدوا سيد قضاتهم يحيى لتعجيز الإمام وإحراجه فإذا بهم انقلبوا صاغرين؟ وإذا بحبالهم ومسائلهم التي تصوروها تسعى، قد التقفتها أجوبة الإمام عليه السلام وجعلتها هباء تذروه الرياح ليعترف له وليعترفوا له عليه السلام بأنه طلاع ثناياها، وفارس ميدانها.

فإن كان بعض هذه الوجوه في المشابهة ـ أو كلها ـ مقبولًا فهو، وإلّا فيكون ما أجاب به السيد القزويني[2] في هذا المقام.

(1) الأعراف: 144.

(2) قال في كتاب الإمام الجواد من المهد إلى اللحد 21: وجه الشبه بين موسى فالق البحار وبين الإمام الجواد غير واضح لدينا.

وقد نقل الشيخ الصدوق في العيون، مرسَلًا عددًا من الألقاب التي كان يطلقها الإمام الرضا عليه السلام على ابنه الجواد فقال: «وكان للرضا عليه السلام من الولد محمد الإمام عليه السلام وكان يقول له الرضا عليه السلام: الصادق، والصابر، والفاضل، وقرة أعين المؤمنين، وغيظ الملحدين»[1]..

وهذه الألقاب بناء على كونها رواية ـ ولو مرسلة ـ فإنها تمتاز عما اشتهر بين الناس والمؤرخين، فإن الألقاب لما كانت ذات جهة اجتماعية، فإنه قد يشتهر لقب من الألقاب على شخص، لما يراه الناس منه في تلك الجهة، وهذا اللقب الاجتماعي وإن كان مهمًّا إلا أن نص المعصوم على لقب خاص يعتبر أهم منه نظرًا لإحاطة المعصوم المعرفية بموقع المعصوم الآخر الذي يجعل عليه اللقب. مع أنه قد لا يكون اللقب الذي أطلقه عليه المعصوم واضحًا عند الناس كوضوح اللقب الاجتماعي، وربما لم يتداول بينهم إلا في دوائر محدودة.

كما أنه ذكرت له ألقاب أخر؛ في كتب متعددة هي التالية:

التقي: لقب به لأنه اتّقى الله وأناب اليه، واعتصم به ولم يستجب لأي داع من دواعي الهوى.

المرتضى.

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 279.

القانع.

الرضي.

المختار.

باب المراد[1]

ولعل أشهرها في الذهنية العامة لشيعة أهل البيت هو هذا اللقب الأخير، وقد يطلق هذا على أحد أبواب الصحن العلوي الشريف في النجف الأشرف، كما هو أيضًا أحد بوابات حرم الإمامين الكاظمين (موسى بن جعفر وحفيده محمد الجواد) ولكن أصبح عند الجمهور الشيعي عنوانًا للإمام الجواد نفسه، فيقال باب الحوائج موسى بن جعفر وباب المراد محمد الجواد، وقد جمعهما الشاعر المعروف السيد مهدي الأعرجي في بيتي شعر كما أوردهما السيد جواد شبر في أدب الطف، قال الأعرجي[2] واصفًا زيارته للإمامين عليهما السلام:

لموسى والجوادِ أتيت أسعى
لأشكوَ ما بقلبيَ من لواعج
فذا بابُ المراد لمن أتاه
وهذا للورى بابُ الحوائج

(1) أعلام الهداية 11/ 54.

(2) جواد شبر؛ أدب الطف أو شعراء الحسين 9/ 201.

وقد ذكر المرحوم السيد المقرم في كتابه عن الإمام الجواد ما يلي: «ولقبه بالجواد والزكي والتقي كما نص عليه حديث رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام إلا أنه اشتهر بالجواد كما عرف بين الخاصة والعامة بباب المراد لكثرة ما صدر منه من قضاء الحاجات والكرامات ما لاذ به ملهوف إلا برد غلته ولا استغاث به أحد إلا وجده عونًا له ولا قصده مهموم إلا فرج همه فهو سلام الله عليه غوث اللاجي وغيث الراجي وصريخ المستصرخ ونجعة المرتاد وري الصادي»[1].

ويتلو هذين اللقبين في الاشتهار: التقي فهو في الكتابات الشيعية حاضر أيضًا، ثم القانع والمرتضى وهما في الكتب غير الشيعية يعدان من ألقابه كما تقدم في حاشية سابقة.

(1) المقرم؛ السيد عبد الرزاق: موسوعة آثار السيد المقرم 5/ 125، وفاة الإمام الجواد.

باقة من بستان علم الجواد

لو تعرضنا لكل ما نقل عن الإمام الجواد عليه السلام من روايات وأحاديث وهو جزء من كثير مما قاله وحدث وقمنا بشرحها فلا شك أن الكتاب يخرج عن هدفه وخطته، ولكن سنشير إلى بعض تلك الروايات ونسلط الضوء على بعض ما يستفاد منها..

وحيث أننا في صدد الحديث عن الجانب العلمي فقد أحببت الإشارة إلى (نص) ورد في كتب الحديث وثار حوله كلام وجدل منذ ما يقرب من ثلاثمائة سنة، وهو النص الذي ورد في كتاب الكافي والاختصاص فيما يرويه علي بن إبراهيم عن أبيه قال «اسْتَأْذَنَ عَلى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ النَّوَاحِي مِنَ الشِّيعَةِ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا، فَسَأَلُوهُ فِي مَجْلِسٍ واحِدٍ عَنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَ عليه السلام ولَهُ عَشْرُ سِنِينَ»[1].

وقد أثار هذا النص استغرابًا عند المحققين؛ على فرض التمسك بحرفيته، من كونه مجلسًا شخصيًّا واحدًا، ويتحمل هذا

(1) الكليني: الكافي (ط دار الحديث) 2/ 594.

العدد الهائل من الأسئلة والأجوبة فإن كل مسألة هي تحتوي على سؤال وجواب، فيكون العدد أكثر مما ذكر! وكيف لهم أن يحصوا هذا العدد؟ وكيف يتسع الزمان (المجلس الواحد في اليوم الواحد) لكل ذلك؟ وحتى لو فرضنا جهة الاختصار في أجوبة الإمام الجواد بحيث يكون الجواب بنعم أو لا، أو فرضنا الإعجاز فيها، فلا يمكن تصور ذلك في جهة أسئلة السائلين!

وبحسب كلام العلامة المجلسي في مرآة العقول «يشكل هذا بأنه لو كان السؤال والجواب عن كل مسألة بيتًا واحدًا أعني خمسين حرفًا لكان أكثر من ثلاث ختمات للقرآن فكيف يمكن ذلك في مجلس واحد؟ ولو قيل جوابه عليه السلام كان في الأكثر بلا ونعم أو بالإعجاز في أسرع زمان ففي السؤال لم يكن كذلك!».

وفي حل هذا الإشكال هناك عدة طرق:

الطريقة الأولى: عدم التعامل مع (النص) المذكور كنص ثابت وواقعي! وبالتالي فلا حاجة إلى تجشم العناء في الرد والتوجيه والشرح له، ما دام لا يعلم مصداقيته!

وذلك: إن المصدر الوحيد له هو ما رواه إبراهيم بن هاشم ونقله عنه في الكافي، ثم نقله في الاختصاص (مع أن هناك كلامًا في ثبوت نسبة كتاب الاختصاص للشيخ المفيد) وعلى أي حال فالسند واحد! وينتهي إلى إبراهيم بن هاشم القمي.

والمهم في ذلك هو أنه لا ينقله عن معصوم وإنما تسجيل منه لحادثة جرت، إمّا أن يكون شاهدًا لها أو غير شاهد! وظاهر الخبر أنه كان حاضرًا.

وفي كتاب الاختصاص فقد دمج بين خبر مجلس الشيعة وسؤالهم عبد الله بن موسى الكاظم (وقد ذكرناه في الصفحات الماضية بعنوان المجلس الثالث) وتصحيح الإمام الجواد أخطاء عمه عبد الله بن موسى، وبين هذا الخبر الذي يقول بأنه استأذن عليه قوم من الشيعة.

وعلى كل حال فإنه يفترض أن المجلس الذي شهد (الثلاثين ألف مسألة) هو في اول إمامته عليه السلام، وبالقطع واليقين لم يكن عمره آنئذ عشر سنوات، فقد كان دون هذا على الأقل بسنة ونصف! فإذا كان انطباع إبراهيم بن هاشم في أمر محسوس وظاهري وتحديده لعمره غير صحيح مع سهولة ذلك، فهل يكون انطباعه عن (عدد ثلاثين ألف) التي تحتاج إلى حساب ودقة، صحيحًا؟

وقد ذهب بعض العلماء والمحشين على الكافي إلى حصول اشتباه من إبراهيم في ذلك وأنه ما دام الأمر كذلك فلا حاجة لتوجيهات وتكلفات، وقد صرح بذلك المحقق أبو الحسن

الشعراني[1] في تعليقه على شرح المازندراني للكافي فقال: «ولا حاجة إلى توجيه كلام إبراهيم بن هاشم بهذه التكلفات، ولم يقل أحد بعصمته بل لم يصرحوا بصحة أحاديثه بل عدوها من الحسان»[2].

وردّ النصَّ الشيخُ آصف محسني في تعليقه على توجيهات العلامة المجلسي في البحار بقوله: «متنه غير قابل للتصديق فلابد من رده إلى قائله، والظاهر أنه اشتباه حين التلقي أو الإلقاء وما ذكر المؤلّف من الوجوه تكلف لا ضرورة له»[3]

واعتبره الشيخ الكوراني غير صحيح في كتابه الإمام محمد الجواد عليه السلام، فقال: «لا يصح كلام إبراهيم بن هاشم أنه عليه السلام سُئل عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد».[4]

ويتساءل بعض الباحثين عن حقيقة هؤلاء (القوم) الذين سألوا الإمام ثلاثين ألف مسألة؟ وأي مقدار عظيم من العلم والمعرفة

(1) أبو الحسن الشعراني (ت 1393) من تلامذة السيد أبو تراب الخوانساري في النجف، تصدى بعد عودته إلى طهران للتدريس والبحث وله كتب كثيرة في مواضيع مختلفة رجالية وحديثية وفقهية وفلسفية ويوصف عند بعضهم بأنه جامع لفنون مختلفة من العلم، وقد تخرج على يده عدد من المجتهدين المعاصرين.

(2) المازندراني؛ المولى محمد صالح: شرح أصول الكافي 7/ 291.

(3) المحسني؛ الشيخ محمد آصف: مشرعة بحار الأنوار 2/ 201.

(4) الكوراني: الإمام الجواد 291.

كانوا يحملونه؟ وبالطبع لن يسألوا عن المسائل البديهية كوجوب الصلاة والصوم وأمثالها، وإنما في مسائل تستحق السؤال عنها وهذا يعني أنهم محيطون بشكل استثنائي بكل أبواب الفقه والعقائد وما شابه، فإن السؤال عن أي شيء يقتضي معرفة موضوعه ومحموله والنسبة بينهما.

وربما يكون لهذا السبب، ترك السيد كاظم القزويني ذكر العدد فقال: «ويعلم الله عدد الأسئلة التي وجهت إلى الإمام الجواد في ذلك المجلس وتفرق الحاضرون وهم مقتنعون بإمامة الإمام الجواد عليه السلام».[1]

الطريقة الثانية: التعامل معه على أساس احتمال أن يكون أصل النص ثابتا لكن تمَّ التغيير فيه والتبديل، بأن يقال أن النص الأصلي كان سئل عن ثلاثين مسألة فأجاب عنها، لكن النساخ اشتبهوا فأضافوا كلمة (ألْف)، وإذا كان كذلك فلا معنى لرد النص ويكون الأمر طبيعيًّا، فمثلما تمَّ توجيه مسألتين في حضور عبد الله بن موسى في ذلك المجلس إلى الإمام وأجاب عليهما بالجواب الصحيح بعدما أجاب عبد الله خطأ، بعد ذلك تمَّ توجيه ثلاثين مسألة في ذلك المجلس الواحد من مختلف الأبواب،

(1) القزويني؛ محمد كاظم: الإمام الجواد من المهد إلى اللحد 57.

وأجابهم فيها ما جعلهم يفرحون ويسرون لكون هذه الأجوبة منسجمة مع ما يعرفونه من أصول فقه الإمامية، خصوصًا أن بعض الحاضرين كانوا قد جاؤوا من العراق وأطرف الحجاز للتعرف عن قرب على الإمام الجواد ولينقلوا لمن وراءهم ما رأوا!

فإذن المشكلة هي في زيادة كلمة (ألف) بعد عدد الثلاثين، وهي من فعل النساخ سهوًا! وقد رأى بعض العلماء أن هذا هو أنسب المحامل والتوجيهات.

فقد ذكر محققًا كتاب الاختصاص في حاشية هذا الخبر ما يلي «يستبعد أن يكون في وسع السائلين أن يسألوا عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد وإن كان الإمام عليه السلام يقدر على جواب أزيد منها. ومن المحتمل أن يكون لفظه (ألف) من زيادة النساخ»[1].

ومثلهما فعل محققُ كتاب الأنوار البهية، حيث علق على الخبر بعد نقل الماتن له من الاختصاص «ومن المحتمل أن تكون لفظة (ألف) من زيادة النساخ»[2].

وجعل الشيخ المحسني هذا أحد الاحتمالات فقال في هامش

(1) المفيد: الاختصاص 114 علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي.
(2) القمي؛ الشيخ عباس: الأنوار البهية 259.

كتابه حدود الشريعة «المظنون قويًّا اشتباه أحد من الرواة في عدد الأسئلة وكمّيّتها، أو وقوع كلمة (ألْف) سهوًا في المتن»[1].

وكذلك السيد جعفر مرتضى العاملي، حيث قال: «كما أن من المحتمل أن تكون كلمة (ألف) زائدة من النساخ، أو من غيرهم. وقد ذكر الكاشاني هذا الحديث، وليس فيه كلمة «ألف» هذه»[2].

وقد أشار السيد العاملي إلى ذكر الكاشاني لها في كتاب المحجة البيضاء[3] حيث نقلها في أحوال الإمام الجواد بأنه أجاب عن ثلاثين مسألة. لكننا نلاحظ أن الكاشاني نفسه قد نقلها في الوافي بإثبات «ثلاثين ألف»[4]!

الطريقة الثالثة: التعامل مع النص على أساس ثبوت كلمة «ثلاثين ألف» وأنه لا يوجد سهو من النساخ ولا زيادة وتوجيه ما جاء في مضمونه بأحد أشكال التوجيه.. فهنا قدمت إجابات متعددة:

1/ أن يكون ذلك العدد هو على نحو المبالغة والتكثير وليس

(1) المحسني؛ الشيخ محمد آصف: حدود الشريعة1/ 363.

(2) العاملي؛ السيد جعفر مرتضى: الحياة السياسية للإمام الجواد 31.

(3) الكاشاني؛ محسن الفيض: المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء4/ 306 وشبيه بهذا العدد ما نقله شيخ الطائفة في تهذيب الأحكام 5/ 439 في روايته عن إبراهيم بن أبي البلاد قال: قلت لإبراهيم بن عبد الحميد وقد هيأنا نحوًا من ثلاثين مسألة نبعث بها إلى أبي الحسن موسى عليه السلام..

(4) الكاشاني: الوافي3/ 358.

المقصود منه العدد الدقيق للأسئلة والأجوبة! وهذا أحد الوجوه التي أجاب بها العلامة المجلسي في مرآة العقول فقال: «بوجوه؛ الأول: أن الكلام محمول على المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة، فإن عَدَّ مثل ذلك أيضًا مستبعد جدا»[1] ومثله قال الكوراني في كتابه فإنه بعد أن قال «إنه لا يصح كلام إبراهيم بن هاشم أنه عليه السلام سئل عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد» استثنى وقال: «إلا أن يكون المقصود فيه المبالغة بمعنى سألوه عن مسائل كثيرة تبلغ المئات».

وأنت ترى أن المبالغة من الممكن أن تحصل في ضعف العدد أو ضعفيه أو ثلاثة أضعاف أو حتى عشرة أضعاف.. أما أن يصل إلى ثلاثين ألف فهذا ما لا يعهد! وأشار السيد جعفر العاملي إلى أن العدد المذكور ليس تحقيقيًّا وإنما هو تقريبي وفيه مبالغة لإظهار الكثرة فقال: «ولا نستبعد أن يكون هذا العدد تقريبيًا، أو فيه شيء من المبالغة لإظهار نسبة الكثرة هنا، إذ من البعيد أن يتم إحصاء دقيق في هذه الموارد، وأمثالها»

والكلام فيه كالكلام في سابقه..

(1) المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول6/ 108.

2/ أن يكون المقصود بالمجلس ليس المجلس الشخصي الواحد وإنما المجلس النوعي، مثلما يقال مثلًا أن العالم الفلاني بحث مسائل الفقه كلها في مجلس درسه، والمقصود هنا ليس مجلس واحدًا بالعدد، وإنما المقصود مجلس واحد بالنوع ينعقد مثلًا كل يوم في الساعة الكذائية على مدى سنوات.. فقد يكون المجلس المقصود في كلام إبراهيم بن هاشم هو مجلس من هذا النوع كأن يكون في بيت الإمام في المدينة أو في قرية صريا أو ما شابه، وبالتالي ينحل الاشكال.

وقد أشار إليه كأحد الأجوبة العلامة المجلسي في مرآة العقول بعنوان «الرابع: أن يكون المراد بوحدة المجلس الوحدة النوعية أو مكان واحد كمِنَى وإن كان في أيام متعددة».

وكأنّ هذا الجواب تقبله عدد من العلماء من كتّاب سيرة الإمام عليه السلام فقد أشار إليه أستاذنا السيد محمد تقي المدرسي بقوله: «كما أنّ من الممكن كون الأسئلة وُجِّهت إلى الإمام في أيام متعددة مع وحدة المجلس، فيكون مجلسه أشبه بالمؤتمرات التي تطول أيامًا تباعًا يقضونها بالبحث باستثناء أوقات الراحة والطعام»[1].

ورأى الشيخ عبد اللطيف البغدادي أنه ذلك هو الظاهر من

(1) المدرسي؛ السيد محمد تقي: الإمام الجواد عليه السلام قدوة وأسوة، 25.

لفظ الراوي فقال: «والظاهر لنا أن مراد الراوي من المجلس الواحد الذي سُئِل فيه الإمام عليه السلام عن ثلاثين ألف مسألة هو المكان المعّد لجلوسه فيه للناس، كما يقال مثلاً: ذهبت اليوم إلى مجلس زيد أو عمرو ورأيت كذا أو سمعت كذا... الخ، فالإمام سئل في مجلسه ذلك للناس، عن ثلاثين ألف مسألة، فالراوي عيّن نوعية المكان الذي سُئِل فيه الإمام، وأنه مكان واحد وهو الذي يستقبل به الناس دون غيره من الأماكن الأخرى، ولم يعيّن الوقت، والوقت يعرف من القرينة، والقرينة دالة على أن الناس كانوا يتوافدون على الإمام في موسم الحج من جميع النواحي والأقطار والأمصار ليتعرفوا عليه ويسألوه عما حملوا إليه من الأسئلة الكثيرة الكتابية والشفوية، فكان عدد تلك الأسئلة التي وجّهت إليه وأجاب عنها ثلاثين ألف مسألة».[1] وكذلك أشار إليه السيد جعفر العاملي حيث رجح ثبوت كلمة «ثلاثين ألف» في كتابه الحياة السياسية للإمام الجواد.

وأضاف العلامة المجلسي وجوهًا أُخر للجواب على الإشكال المذكور؛ حتى بلغت سبعة وجوه، كما في مرآة العقول؛ بالإضافة إلى ما مرَّ ذكره.

(1) البغدادي؛ الشيخ عبد اللطيف: التحقيق في الإمامة وشؤونها 115.

* أنه يمكن أن يكون في خواطر القوم أسئلة كثيرة متفقة، فلما أجاب عليه السلام عن واحد فقد أجاب عن الجميع.
* أن يكون إشارة إلى كثرة ما يستنبط من كلماته الموجزة المشتملة على الأحكام الكثيرة، وهذا وجه قريب.
* أن يكون مبنيًا على بسط الزمان الذي يقول به الصوفية لكنه مخالف للعقل.
* أن يكون إعجازه عليه السلام أثر في سرعة كلام القوم أيضًا أو كان يجيبهم بما يعلم من ضمائرهم قبل سؤالهم.
* أن السؤال كان بعرض المكتوبات والطومارات فوقع الجواب بخرق العادة.

نهاية المطاف: أظن أن الأوفق بالجواب هو الطريق الأول كما أفاده المحقق الشعراني، فلا ملزم لنا بالتعبد بكلام إبراهيم بن هاشم الذي ينقل انطباعًا وصورة عن مجلس من المعلوم يقيناً أنه لا يمكن قبول مضمونه، ولذلك صار الجميع في حيص وبيص لتوجيهه وصرفه عن ظاهره في محاولات لم تكلل في غالبها بالقبول!

ومن العجيب ان إبراهيم بن هاشم الذي ينقل هذا الخبر

وأنه كان هناك ثلاثون ألف مسألة، لا تصل رواياته عن الإمام الجواد إلى ثلاثين رواية كما يلحظ المتتبع لكتاب مسند الإمام الجواد عليه السلام.. أكثرها لا ترتبط بهذا المجلس فأين ذهبت هذه الثلاثون ألفًا؟

ويليه في ذلك الطريق الثاني بافتراض وجود خلل من النساخ، وكم لهم في هذا من جولات! وقد تقدم الكلام فيه.

وآخر الطرق هو الثالث!

وربما يتصور البعض بأن عدم اللجوء إلى تبرير الخبر وتوجيهه يعني التشكيك في علم الإمام عليه السلام أو قدرته أو اتصاله بالغيب لكن هذا غير صحيح فلا ربط بين الأمرين!

أحاديث من بستان علمه عليه السلام

1/ حديثان في التوحيد:

نلاحظ في رأس باب التوحيد في الكافي وتوحيد الصدوق جعل في مقدمة ذلك ما روي عن الإمام الجواد وكأنه (أم الباب) وعليه تقاس سائر الروايات، ففي كل من الكتابين أورد مؤلفاهما، الحديثين التاليين عنه عليه السلام، الأول منهما عن عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ التَّوْحِيدِ، فَقُلْتُ: أَتَوَهَّمُ

شَيْئًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، غَيْرَ مَعْقُولٍ، وَلَا مَحْدُودٍ، فَمَا وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، فَهُوَ خِلَافُهُ، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ، كَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ خِلَافُ مَا يُعْقَلُ، وَخِلَافُ مَا يُتَصَوَّرُ فِي الْأَوْهَامِ؟! إِنَّمَا يُتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلَا مَحْدُودٍ»[1].

وقد يكون من معاني ذلك أن ما تتوهمه وتصوره بصورة خيالية هو مخلوق ومصنوع لفكرك، فهذا لا ينطبق على الله سبحانه ا لذي خالق كل شيء، وهو ما ورد معناه في روايات أخر مما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام «كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم»[2]

كما نقل الكليني والصدوق في الكتابين ما يضع مقياسًا للمعرفة الكلية بالله سبحانه بحيث يضع حدين لا ينبغي الوصول إليهما، في أنه يقال لله: (شيءٌ)، فإنه يخرجه من حد التعطيل والنفي ومن حد التشبيه بما دل على أنه ليس كمثله شيء، وذلك في ما رواه عن الإمام محمد الجواد عليه السلام الْحُسَين بْن سَعِيدٍ الأهوازي، قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلّهِ: إِنَّهُ شَيْءٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطِيلِ، وَحَدِّ التَّشْبِيهِ»[3].

(1) الكليني: الكافي (ط دار الحديث) 1/ 444، والصدوق في التوحيد 106.
(2) الكاشاني: الوافي 1/ 506.
(3) الكافي 1/ 444 والتوحيد 107.

2/ النبي أعلم الخلق وليس أميًّا:

تبنى اتجاه مدرسة الخلفاء فكرة أن النبي ﷺ أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب بل عدوها صفة ممدوحة فيه[1]! ولا نعلم هل هذا كان من أجل التمسك ببعض الروايات التي لم تثبت أو أنّ ذلك حتى لا تُعَد الأمية عيبًا في الصحابة الأميين؟ أو هو لأجل التفسير الخاطئ لكلمة الأمي التي جاءت في القرآن وصفًا للنبي!

لكن الذي عليه الإمامية تبعًا لأئمتهم عليهم السلام، أن النبي ﷺ هو أعلم خلق الله سبحانه، فكيف لا يعرف القراءة والكتابة؟ وهو معلم البشر فكيف يكون فاقدًا لأبسط الأوليات في العلم؟ وهذا ما أكد عليه الإمام الجواد عليه السلام فيما رواه عنه جعفر بن محمّد الصوفيّ قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ ابن الرّضا عليهما السلام قلت له: يا بن رسول الله لم سمّي رسول الله ﷺ أُميٌّ؟ فقال: ما يقول الناس؟

قلت: جعلت فداك يقولون: إنّما سمّي الامّي لأنّه لم يكن يكتب!.

فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله أنّى يكون ذلك ويقول الله عزّ

(1) قالت دار الإفتاء المصرية، إن رسول الله ﷺ لُقِّبَ بالأميِّ، لأنه كان لا يقرأ ولا يكتب، وهذه صفة كان يتَّصف بها غالب العرب، في ذلك الوقت؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[الجمعة: 2]، وفي (الصحيحين) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النَّبِيِّ ﷺ يقول: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ».

وجلّ في كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1] فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين أو ثلاث وسبعين لسانًا وإنّما سمّي الأُمّي لأنّه من أهل مكّة؛ ومكة من أمهات القرى وذلك قول الله في كتابه: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[2][3].

3/ النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام:

تكتسب مسألة النص على إمامة الائمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام أهمية بالغة في المنظومة العقدية الشيعية، ففيما يعتقد أتباع مدرسة الخلفاء بأن النبي ترك الأمة ولم يعين لها قائدًا فضلًا عن القادة، وأن القرآن يكفي في ذلك، وكان في ما نعتقد أن الأمة تورطت في خلفاء كبني أمية وبني العباس وحالهم أظهر من أن يخفى!

وإذا أراد النبي أن يستخلف أحدًا فلن يكون إلّا من يكون مثله علمًا وهديًا ومعرفة وهو أمير المؤمنين عليٌّ وآله عليهم السلام،

(1) الجمعة: 2.
(2) الشورى: 7.
(3) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص 275.

وهو ما أخبر عنه الإمام الجواد عليه السلام ناقلًا عن جد أبيه الصادق عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل قال: «ولا يستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا من يحكم بحكمه وإلا من يكون مثله إلا النبوة، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف في علمه أحدًا فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده؛ إلى أن قال: لا بدَّ من سيد يتحاكمون إليه، ثم قال: أبى الله بعد محمد أن يترك العباد لا حجة عليهم، قال السائل: أرأيت إن قالوا حجة الله القرآن؟ قال: إذًا أقول لهم إن القرآن ليس بناطق يأمر وينهى، ولكنْ للقرآن أهل يأمرون وينهون»[1].

وأما من يكون هؤلاء الذين استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وألزم الأمة بطاعتهم واتباعهم فقد كثرت الروايات عن النبي وعن أهل بيته في تحديدهم والتعريف بهم[2] ومن ذلك التعريف ما نقله الإمام محمد الجواد عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الخضر معه، كما أورده الشيخ الكليني في الكافي راويًا بسنده عن أَبِي هَاشِمٍ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام، قَالَ: «أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام وهُوَ مُتَّكِئٌ

(1) الكافي1/ 293.

(2) ينظر في ذلك الخزاز القمي: كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر.

عَلى يَدِ سَلْمَانَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَجَلَسَ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ واللِّبَاسِ، فَسَلَّمَ عَلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَجَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي بِهِنَّ، عَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ رَكِبُوا مِنْ أَمْرِكَ مَا قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وأَنْ لَيْسُوا بِمَأْمُونِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وآخِرَتِهِمْ؛ وإِنْ تَكُنِ الْأُخْرى، عَلِمْتُ أَنَّكَ وهُمْ شَرَعٌ سَوَاءٌ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّجُلِ إِذَا نَامَ أَيْنَ تَذْهَبُ رُوحُهُ؟ وعَنِ الرَّجُلِ كَيْفَ يَذْكُرُ وَيَنْسى؟ وعَنِ الرَّجُلِ كَيْفَ يُشْبِهُ ولَدُهُ الْأَعْمَامَ والْأَخْوَالَ؟

فَالْتَفَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْحَسَنِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَجِبْهُ.

قَالَ[1]: «فَأَجَابَهُ الْحَسَنُ عليه السلام، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَشْهَدُ أَلاَّ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، ولَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ولَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِذلِكَ، وأَشْهَدُ أَنَّكَ وصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(1) والحديث طويل ترك منه إجابة الإمام على الأسئلة الأولى واقتصر على ما يرتبط بالنص على الأئمة.

والْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ ـ وأَشَارَ إِلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ـ ولَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا، وأَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّهُ والْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ ـ وأَشَارَ إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام ـ وأَشْهَدُ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وصِيُّ أَخِيهِ والْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ بَعْدَهُ وأَشْهَدُ عَلى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْحُسَيْنِ بَعْدَهُ، وأَشْهَدُ عَلى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وأَشْهَدُ عَلى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ، وأَشْهَدُ عَلى مُوسى أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وأَشْهَدُ عَلى عَلِيِّ بْنِ مُوسى أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وأَشْهَدُ عَلى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسى، وأَشْهَدُ عَلى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَأَشْهَدُ عَلى رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ لَا يُكَنّى ولَا يُسَمّى حَتّى يَظْهَرَ أَمْرُهُ، فَيَمْلَأَهَا عَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، والسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ...»[1]

والقائم تارة يقصد منه المعنى اللغوي وهو من يقوم بالشيء، فكلهم عليهم السلام قائمون بأمر الله وقوامون على كتابه، وأخرى يقصد منه المعنى الخاص والاصطلاح المتداول بين الإمامية، والذي إذا

(1) الكافي (دار الحديث) 2/ 679.

أطلق ينصرف لمعنى خاص، فالمقصود يكون هو الإمام المهدي المنتظر وقد صرح بهذا المعنى الإمام الجواد عليه السلام في ما رواه عنه الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين، بسنده إلى السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني حيث قال: «قلت لمحمد بن علي بن موسى عليهما السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلما!

فقال عليه السلام: يا أبا القاسم: ما منا إلا وهو قائم بأمر الله عز وجل، وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله عز وجل به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأها عدلًا وقسطا هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيُّه، وهو الذي تُطوى له الأرض، ويذل له كل صعب؛ يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عز وجل: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الاخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز وجل»[2].

(1) البقرة: 148.

(2) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة 408.

4/ توصيف الإمام الجواد لحالة الأمة الإسلامية:

تعددت أغراض الدعاء عند الأئمة المعصومين عليهم السلام، من تعليم الخطاب والمناجاة والخضوع مع الله سبحانه، إلى بث معارف الدين والعقيدة من خلال الدعاء، وحتى إلى انتقاد الأوضاع السيئة القائمة في الأمة، والتي كانت بلا شك نتيجة مسيرة طويلة خاطئة، وكانت الثمرة المرة للغرس الباطل، فكان المعصومون عليهم السلام ربما اتخذوا من الدعاء وسيلة لبيان الخلل والانحراف في الأمة، من دون أن يعد ذلك عليهم عملاً سياسيًا يستحق العقوبة! وبهذا فقد كانوا يوصلون ما أرادوا للناس من دون أن يتعرضوا لمواجهة السلاطين بشكل سافر وفاقع.

فقد نقل الشيخ العطاردي في كتابه مسند الإمام الجواد عليه السلام عن ابن طاووس، بإسناده عن أبي جعفر بن بابويه رحمه الله عن إبراهيم بن محمّد بن الحارث النّوفلي قال: حدّثنا أبي وكان خادمًا لمحمّد بن عليّ الجواد عليهما السلام؛ أن الإمام أعطى المأمون ما هو جزء من مهرها، وهو (الوسائل إلى المسائل) وهي مناجاة تمَّ توارثها عن المعصومين معصوم عن آخر؛ فقال الإمام الجواد: دفعها إليّ أبي. قال: دفعها إليّ أبي موسى قال: دفعها إليّ أبي جعفر قال: دفعها إليّ محمّد أبي قال: دفعها إليّ عليّ بن الحسين أبي قال:

دفعها إليّ الحسين أبي قال: دفعها إليّ الحسن أخي قال: دفعها إليّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه قال: دفعها إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: دفعها إليّ جبرئيل عليه السلام.

قال يا محمّد رب العزّة يقرئك السّلام ويقول لك: هذه مفاتيح كنوز الدّنيا والآخرة فاجعلها وسائلك إلى مسائلك تصل إلى بغيتك وتنجح في طلبتك فلا تؤثرها في حوائج الدّنيا فتبخس بها الحظّ من آخرتك وهي عشرون وسائل تطرق بها أبواب الرّغبات فتفتح وتطلب بها الحاجات فتنجح وهذه نسختها:

ثم ذكر تلك الوسائل في المناجاة وكان مما جاء فيها في ذكر:

المناجاة بكشف الظلم

«اللهمّ انّ ظلم عبادك قد تمكّن في بلادك حتّى أمات العدل وقطع السّبل ومحق الحقّ وأبطل الصدق واخفى البرّ واظهر الشّرّ واخمد التّقوى وأزال الهدى وأزاح الخير وأثبت الضّير وأنمى الفساد وقوّى العناد وبسط الجور وعدى الطّور. اللهمّ يا ربّ لا يكشف ذلك الّا سلطانك ولا يجير منه الّا امتنانك اللهمّ ربّ فابتر الظّلم وبتَّ حبال الغشم وأخْمِل سوق المنكر وأعزّ من عنه ينزجر واحصد شأفة أهل الجود»[1].

(1) عطاردي: مسند الإمام الجواد عليه السلام 174.

5/ النهي عن استعمال القياس البشري في الأحكام التعبدية:

بالرغم من أن الله سبحانه قد خلق العقل وأعطى له قيمة وقدرة بحيث جعله دليلًا على خالقه، إلا أن ذلك لا يعني (تأليه) العقل، وجعله حاكمًا على خالقه ومحددًا أو نافيًا لأحكام الخالق، فإنه حينئذ يتحول إلى طاغوت، ولهذا فقد حدد له خطوطا حمراء لا ينبغي أن يتخطاها، ثم ترك له مساحة واسعة في الاستدلال والاستنباط والحركة، غير أن بعض البشر لاغترارهم بعقولهم ربما جعلوا تلك العقول حاكمة على الأحكام بل على الحاكم الذي قررها سبحانه وتعالى، ولأجل هذا جاءت نواهي المعصومين عليهم السلام عن هذا التطرف فكان منها مثل «إن دين الله لا يصاب بالعقول» بهذا المعنى! وإلا فإن نفس الذي يقول ذلك القول هو نفسه يقول: أول ما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال أدبر فأدبر، ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أفضل منك بك أثيب وبك أعاقب..».

لكن في مواجهة التطرف في إعطاء العقل مساحة لا تحل له ولا ينبغي أن يدخلها قرر أئمة الهدى عليهم السلام أن القياس مثلًا لا يعتبر طريقًا صحيحًا لعبادة الله، وفي هذا الاطار كان من يعترض على الأحكام كان الأئمة يرشدونه لخطأ هذا المنهج

فقد قال الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه «وروي عن الحسين بن مسلم عن أبي جعفر الثاني عليه السلام أنه «سئل ما فرق ما بين الفسطاط وبين ظل المحمل، قال: لا ينبغي أن يستظل في المحمل، والفرق بينهما أن المرأة تطمث في شهر رمضان فتقضي الصيام ولا تقضي الصلاة، قال: صدقت جعلت فداك». قال مصنف هذا الكتاب: معنى هذا الحديث أن السنة لا تقاس»[1].

6/ هل الحج مبني على الاحتياط أو التيسير؟

من أمهات المسائل في أحكام الحج وهو بمثابة الأصل الذي يستدل به في الموارد المختلفة، هل أن الحج مبني على الاحتياط وبالتالي ففي كل مورد تمَّ الشك فيه في البطلان يجب التدارك في ما يمكن التدارك والاعادة فيما لا يمكن؟ أو أنه مبني على التيسير والتخفيف، ونفي شرطية الشيء المشكوك شرطيته؟

ربما يلحظ أن هناك مسلكين ومنهجين، فالترتيب مثلًا بين الأعمال بحسب ما ورد في صفة حج النبي لازم، وليس المطلوب فيه أن يؤتى بالأعمال بأي نحو اتفق، وإنما بصورة مرتبة، وهذا يسري في الأعمال الاصلية في الحج من الاحرام والطواف

(1) الصدوق: من لا يحضره الفقيه2/ 353.

والسعي والتقصير والوقوفين وأعمال يوم العيد، ثم أعمال مكة. كما يسري في العمل الواحد.. كأعمال يوم العيد مثلاً.

ويترتب على هذا أنه لو تمَّ الاخلال بالترتيب من غير عمد، كأن يكون عن جهل بالحكم أو عن غفلة عنه أثناء الفعل.. فهل يجب الإعادة والتدارك أو أنه لا يجب ذلك؟

لقد نقل لنا الإمام الجواد عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما ينفع على الأقل في أعمال يوم العيد من أنه مع الاخلال بالترتيب من غير تعمد فإنه لا حرج على المُخِلّ في ذلك وأنه لا يجب عليه الإعادة.. هل هذا يمكن تعميمه إلى أعمال أخر مستقلة أو لا؟ هذا ما يبحثه الفقهاء في مسائل الحج وليس محله هذه الصفحات.

أما ما يرتبط بأعمال يوم العيد فعن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: «قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جعلت فداك إنّ رجلاً من أصحابنا رمى الجمرة يوم النحر وحلق قبل أن يذبح. فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا كان يوم النّحر أتاه طوائف من المسلمين فقالوا:

يا رسول الله ذبحنا من قبل أن نرمي وحلقنا من قبل أن نذبح، ولم يبق شيء ممّا ينبغي لهم أن يقدّموه إلّا أخّروه ولا شيء ممّا

ينبغي لهم أن يؤخّروه إلّا قدّموه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا حرج لا حرج»[1].

7/ من فلسفة عدة الطلاق والوفاة..

يتفق العدلية (من الشيعة والمعتزلة) على أن الأحكام الإلهية تابعة للمصالح والمفاسد، وأن الله سبحانه لا يشرع حكمًا من دون أن يكون فيه نفع في متعلق ذلك الحكم سواء لنفس العامل به أو للمجتمع، او فيه فائدة من الفوائد، وهكذا الحال بالنسبة إلى تحريم أحد المحرمات.

وقد تكون المصلحة في نفس التشريع لا في كل حكم بمفرده، أو بالنسبة إلى كل شخص، وإنما كما ينظر في القوانين للمصلحة العامة والغالبة كذلك هنا قد يكون الأمر.

وقد يكون في شيء مصلحة معينة لكن لا بدَّ من ملاحظة أنه هل هناك مصلحة مزاحمة لهذه المصلحة؟ أو لا توجد ومتى كان هناك مزاحمة فأي المصلحتين تتقدم وهكذا.

ومع كل ما تقدم فلا يعني أننا ما لم نعرف تلك المصالح والمفاسد، فإذن لا تكون الأحكام ثابتة وقائمة. ثبوت تلك

(1) الكافي: 9/ 141.

المفاسد والمصالح عندنا، ومعرفتنا إياها ووصولنا إليها شيء مختلف تمامًا عن أصل وجودها.

لذلك كانت هناك حاجة إلى تعريف تلك المصالح وتوضيحها (في الجملة) من جهة الوحي كالذكر الحكيم أو سنة النبي والمعصومين، لبيان أن أحكام الله سبحانه ليست اعتباطية وإنما تنطلق من الحكمة، ولكن هذا التعريف ليس بالضرورة شاملاً لكل الأحكام، كما أن طريقة بيانه ليست بشكل واحد، فقد تكون تقريبية للمتلقي، وقد تكون إشارة إلى جهة من جهات الحكمة أو العلة.. وهكذا.

وأمامنا نص رواية عن الإمام الجواد عليه السلام تعرض فيها إلى حكمة تشريع العدة على المرأة في الطلاق والوفاة، وليست هي العلة التامة، وإنما هي تقريب وتنظير وشرح ليألف الذهن الحكم الشرعي، وهو ما رواه الشيخ الكليني بسنده عن محمّد بن سليمان عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، كَيْفَ صَارَتْ عِدَّةُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثَ حِيَضٍ أَوْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَصَارَتْ عِدَّةُ الْمُتَوَفّى عَنْهَا زَوْجُهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا؟ فَقَالَ: «أَمَّا عِدَّةُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ، فَلِاسْتِبْرَاءِ الرَّحِمِ مِنَ الْوَلَدِ؛ وَأَمَّا عِدَّةُ الْمُتَوَفّى عَنْهَا زَوْجُهَا، فَإِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ شَرَطَ لِلنِّسَاءِ شَرْطًا، وَشَرَطَ عَلَيْهِنَّ

شَرْطًا، فَلَمْ يُحَابِهِنَّ فِيمَا شَرَطَ لَهُنَّ، وَلَمْ يَجُرْ فِيمَا اشْتَرَطَ عَلَيْهِنَّ؛ أَمَّا مَا شَرَطَ لَهُنَّ فِي الْإِيلَاءِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، إِذْ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾[1] فَلَمْ يُجَوِّزْ لِأَحَدٍ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فِي الْإِيلَاءِ؛ لِعِلْمِهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَنَّهُ غَايَةُ صَبْرِ الْمَرْأَةِ مِنَ الرَّجُلِ.

وَأَمَّا مَا شَرَطَ عَلَيْهِنَّ، فَإِنَّهُ أَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ إِذَا مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، فَأَخَذَ مِنْهَا لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ مَا أَخَذَ مِنْهُ لَهَا فِي حَيَاتِهِ عِنْدَ إِيلَائِهِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2] وَلَمْ يَذْكُرِ الْعَشَرَةَ الْأَيَّامِ فِي الْعِدَّةِ إِلاَّ مَعَ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَعَلِمَ أَنَّ غَايَةَ صَبْرِ الْمَرْأَةِ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي تَرْكِ الْجِمَاعِ، فَمِنْ ثَمَّ أَوْجَبَهُ عَلَيْهَا وَلَهَا»[3].

8/ هل ترتبط فضيلة الزيارة بالظروف المحيطة؟

تشكل زيارة مشاهد المعصومين ومراقدهم أحد نقاط التعبئة الدينية لشيعتهم؛ من كونها تربطهم عاطفيًا بالمعصومين، وتعرّفهم سيرتهم ومناقبهم، وتساهم تلك المعرفة في تحقيق الاقتداء بهم.

(1) البقرة: 226.
(2) البقرة: 234.
(3) الكافي: 11/ 613.

وقد لا يمكن للشخص أن يجمع بين زيارة كل المراقد والمشاهد، فيتعين عليه أن يختار بينها، وآنئذ يريد اختيار الأفضل مما هو ممكن. وبحسب ما ورد من الروايات فإن كثيرًا من الروايات تشير إلى زيارة الإمام أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء باعتبار موقعيته في تاريخ المعصومين ودوره في حماية الدين، كما تشير إلى زيارة الإمام الرضا ﷺ باعتبار (غربته) وبعد مزاره، وقد وردت روايات تشير إلى فضيلة زيارة الإمام الرضا ﷺ وتقدمها على زيارة جده الحسين ﷺ (ولا يلازم ذلك أن يكون الرضا أفضل من الحسين ﷺ)، وقد نقلنا بعضها في كتابنا: عالم آل محمد؛ الإمام الرضا ﷺ.

وهنا نشير إلى إحدى تلك الروايات عن الإمام محمد الجواد ﷺ، وفيها يعلل تقدم زيارة أبيه الرضا على زيارة الحسين جدهما، بكون زوار الإمام علي الرضا، قليلين بخلاف زوار أبي عبد الله الحسين ﷺ، وقد ذكرنا في ذلك الكتاب أن قلة الزوار ليست راجعة فقط إلى بعد المكان (طوس، خراسان) قياسا إلى كربلاء العراق، وإنما بالإضافة إلى ذلك فإن الفرق والفئات الشيعية (بالمعنى الأعم من زيدية وإسماعيلية وواقفية بالإضافة إلى الإمامية) كلها تزور الإمام الحسين ﷺ بينما لا يزور الإمام الرضا ﷺ من بين هذه الفئات الأربع سوى الإمامية، فكان ينبغي لأجل ذلك التحريض على زيارته ﷺ.

فعن السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قد تحيرت بين زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام وبين زيارة قبر أبيك عليه السلام بطوس فما ترى؟ فقال لي مكانك، ثم دخل وخرج ودموعه تسيل على خديه، فقال زوار قبر أبي عبد الله عليه السلام كثيرون وزوار قبر أبي عليه السلام بطوس قليلون»[1].

هذه باقة من روايات رويت عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام، ولمن شاء التتبع في رواياته عليه السلام بشكل أكثر تفصيلًا فبإمكانه الرجوع الى الكتب المفصلة كمسند الإمام الجواد أو موسوعة الإمام الجواد عليه السلام.

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 287.

كلمة شكر

لكل من ساهم في هذا الكتاب بنحو من الأنحاء، ونخص بالذكر الأخوات الفاضلات: أم ضياء، وزهرة اليوسف وتراتيل، وليلى الشافعي.

والإخوة الفضلاء أبا محمد العباد، وعبد الأمير أبا علي..

المصادر

بعد القرآن الكريم

أكثر المصادر التي تمَّ اعتمادها هي نسخ إلكترونية على مواقع أو تطبيقات، والاعتماد الأساس كان على مكتبة أهل البيت ـ الموقع الإلكتروني وبعض كتب مدرسة الخلفاء تمَّ الاعتماد على تطبيق تراث.

- الآبي؛ منصور بن الحسين الرازي: نثر الدر في المحاضرات، ت: خالد محفوظ، دار الكتب العلمية ـ بيروت 1424 هـ ـ 2004م..
- الإربلي؛ علي بن أبي الفتح كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء ـ بيروت 1405 ـ 1985 م.
- الأردبيلي؛ المولى محمد بن علي: جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد، مكتبة المحمدي قم.
- الأصبهاني؛ أبو الفرج علي بن الحسين: مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
- الأنصاري؛ الشيخ مرتضى: كتاب المكاسب، ت لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، المؤتمر العالمي للشيخ الأنصاري قم 1415.
- البحراني؛ السيد هاشم: حلية الأبرار، ت غلام رضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم 1411.

- البغدادي؛ الشيخ عبد اللطيف: التحقيق في الإمامة وشؤونها، بدون تاريخ أو دار نشر.
- البغدادي؛ محمد بن الحسن بن حمدون: التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، 1417هـ.
- البغوي؛ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز: جزء في مسائل عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ت محمود الحداد، دار العاصمة، الرياض 1407هـ.
- البَلَاذُري؛ أحمد بن يحيى: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر ـ بيروت 1417هـ ـ 1996م.
- التستري؛ الشيخ محمد تقي: الأخبار الدخيلة، ت علي أكبر الغفاري، طهران مكتبة الصدوق.
- التستري؛ الشيخ محمد تقي: الأوائل، ت قيس آل قيس، مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگي ـ طهران.
- التستري؛ الشيخ محمد تقي: رسالة في تواريخ النبي والآل، مؤسسة النشر الاسلامي جامعه مدرسين ـ قم 1423.
- التستري؛ نور الله الحسيني المرعشي: إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تعليق آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي منشورات مكتبة المرعشي النجفي قم.
- التوحيدي؛ أبو حيان: البصائر والذخائر، ت وداد القاضي، دار صادر ـ بيروت 1408 هـ ـ 1988 م.

- الجاحظ؛ رسائل الجاحظ، ش علي أبو مسلحم، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت 1422.
- الجزائري؛ السيد نعمة الله: الأنوار النعمانية، دار القاري ـ بيروت 1429.
- الجزائري؛ السيد نعمة الله: رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار، مؤسسة التاريخ العربي بيروت 1427.
- الجوزي؛ سبط ابن: تذكرة الخواص، منشورات الشريف الرضيّ ـ قم 1418.
- الخزعلي؛ أبو القاسم: موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، تحقيق ونشر مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الإسلامية ـ قم1419.
- الخصيبي؛ الحسين بن حمدان: الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت 1411 ـ 1991 م.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت.
- ابن خلكان؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.
- الخوئي؛ السيد أبو القاسم: صراط النجاة (تعليق الميرزا التبريزي)، دفتر نشر برگزيده، قم 1416.
- الخوئي، السيد أبو القاسم: معجم رجال الحديث الطبعة الخامسة، 1413 ـ 1992م.
- الحراني؛ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة النشر الإسلامي قم 1404.

- الحرّ العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات، خرّج أحاديثه: علاء الدّين الأعلمي مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم 1414.
- الحكيم؛ السيد محمد سعيد: في رحاب العقيدة، دار الهلال، النجف 1425.
- الدِّيار بَكْري؛ حسين بن محمد: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر ـ بيروت.
- الدّينَوَريّ؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة: عيون الأخبار، ت يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة.
- الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ت بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، 2003م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة 1405 هـ / 1985.
- الزَّبيدي؛ مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ت مجموعة محققين، دار الهداية بيروت.
- الزمخشري؛ جار الله: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1412 هـ.

- ساعي؛ محمد نعيم محمد هاني: موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر 1428 هـ ـ 2007 م.
- السمعاني؛ عبد الكريم بن محمد بن منصور: الأنساب، ت عبد الله عمر البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت 1408 ـ 1988م.
- آل سيف؛ فوزي: الإمام المهدي؛ عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة 2020.
- آل سيف؛ فوزي: عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، دار المحجة البيضاء بيروت 2021.
- آل سيف؛ فوزي: كاظم الغيظ؛ الإمام موسى بن جعفر، دار المحجة البيضاء بيروت 2021.
- الشاكري؛ حسين: موسوعة المصطفى والعترة، نشر الهادي ـ قم 1417.
- الشاهرودي؛ السيد علي الهاشمي: محاضرات في الفقه الجعفري، دائرة معارف الفقه الإسلامي ـ قم1429.
- الشبستري؛ عبد الحسين: سبل الرشاد إلى أصحاب الإمام الجواد، المكتبة التخصصية في تاريخ الاسلام وايران ـ قم 1421.
- الشيباني الجزري؛ ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان 1417 هـ / 1997م.

- الصالحي النجف آبادي؛ الشيخ عبد الله: موسوعة مكاتيب الأئمة من أبناء الإمام الكاظم والرضا والجواد، نشر المؤلف، بدون تاريخ نشر.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، تعليق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: كمال الدين وتمام النعمة، ت علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي قم.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: من لا يحضره الفقيه، ت علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- الطبرسي؛ أحمد بن علي الاحتجاج، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف، 1386 ـ 1966م.
- الطبرسي؛ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت (ع لإحياء التراث ـ قم 1417.
- الطبري، محمد بن جرير (الإمامي) دلائل الإمامة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم.
- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث ـ بيروت 1387.
- ابن طلحة الشافعي؛ كمال الدين محمد: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ت ماجد بن أحمد العطية.
- الطوسي؛ ابن حمزة: الثاقب في المناقب، ت نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ـ قم 1412.

- الطوسي؛ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت ﷺ، قم إيران 1404 هـ.
- الطوسي؛ محمد بن الحسن: الغيبة، ت الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم 1411.
- عبد الوهاب؛ الشيخ حسين بن: عيون المعجزات، المطبعة الحيدرية في النجف 1369 هـ.
- العياشي؛ محمد بن مسعود بن عياش: التفسير، ت السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران.
- أبو الفداء؛ عماد الدين إسماعيل بن علي: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية.
- الفيض الكاشاني؛ الشيخ محسن: الوافي، ت ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ العامة ـ أصفهان 1406.
- القزويني ابن فارس: أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت 1399 هـ ـ 1979م..
- القزويني؛ السيد محمد كاظم: الإمام الجواد من المهد إلى اللحد، مؤسسة الرسالة، قم 1414.
- القطيفي؛ أحمد بن الشيخ صالح آل طوق: رسائل آل طوق القطيفي، تحقيق ونشر شركة دار المصطفى لإحياء التراث، 1422 ـ 2001 م.
- القمي؛ الشيخ عباس: الكنى والألقاب، مكتبة الصدر ـ طهران.
- القمي؛ الشيخ عباس: منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

- الكاظمي؛ الشيخ عبد النبي: تكملة الرجال، ت محمد صادق بحر العلوم، أنوار الهدى، قم 1425.
- الكاشاني؛ محمد مرتضى الفيض: المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، ت علي أكبر الغفاري، دفتر انتشارات إسلامي، قم.
- الكاشاني؛ محمد مرتضى الفيض: الوافي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان.
- ابن كثير الدمشقي؛ إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1418 هـ ـ 1997 م.
- الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران.
- الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، ت مركز بحوث دار الحديث، دار الحديث، قم 1429.
- الكوراني العاملي؛ الشيخ علي: الإمام محمد الجواد؛ شبيه عيسى ويحيى وسليمان عليهم السلام 1433 هـ ـ 2012 م.
- المازندراني؛ محمد بن علي بن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، المكتبة والمطبعة الحيدرية، النجف 1376.
- المالكي؛ علي بن محمد أحمد (ابن الصباغ): الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، ت سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر 1422.
- المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان 1403 ـ 1983.

- المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ت السيد هاشم الرّسولي، دار الكتب الإسلامية طهران، 1404.
- مجموعة مؤلفين: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1418 هـ ـ 1998 م.
- المحسني؛ الشيخ محمد آصف: معجم الأحاديث المعتبرة، نشر اديان ـ قم 1434.
- المحسني؛ الشيخ محمد آصف: مشرعة بحار الأنوار، مكتبة عزيزي، قم 1423.
- المدرسي؛ السيد محمد تقي: الإمام الجواد عليه السلام قدوة وأسوة، مركز العصر ـ بيروت 1431.
- المزي؛ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1400 ـ 1980.
- المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، انصاريان ـ قم 1426.
- المشغري العاملي؛ يوسف بن حاتم الشامي: الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
- الموحد الأبطحي؛ السيد محمد باقر: العوالم، الإمام الجواد، مؤسسة الإمام المهدي قم 1413.
- المفيد، الشيخ محمد بن النعمان: الإرشاد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

- المقرم؛ عبد الرزاق: موسوعة آثار السيد المقرم، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء العراق.
- النيسابوري؛ محمد بن الفتال: روضة الواعظين، منشورات الرضي، قم.
- الهيتمي بن حجر، أحمد بن محمد بن محمد بن علي، الصواعق المحرقة، ت عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

مواقع إلكترونية:

https://www.eshia.ir

https://arabic.tebyan.net

https://www.sayidaty.net/

https://ar.wikipedia.org.

الفهرس

المقدِّمة 5

الهوية الشخصية للإمام الجواد 9

الإمام الجواد من الميلاد إلى الاستشهاد 11

تباشير الولادة 11

رأينا في البركة العظمى الجوادية 22

أما المرحلة النظرية 26

وأما المرحلة العملية 28

هل تصح هذه الرواية؟ 43

ما نستفيده بشكل عام من المكاتبات 53

وكلاؤه ونوابه في البلاد 55

مواقف تجاه إمامة الجواد عليه السلام 67

الإمام الجواد في عصر المعتصم العباسي 77

الإمام الجواد وتجلي علم الله سبحانه 81

تحليل الخُمس والوضع السياسي زمان الإمام 117

الحياة الأسرية للإمام الجواد عليه السلام 132
اغتيال الإمام في خلافة المعتصم العباسي 143
ألقاب الإمام الجواد وكُناه 152
أبو جعفر 153
ابن الرضا 155
الجواد 157
عطاياه لأصحابه 159
سخاؤه وجوده على عامة الناس 162
شبيه عيسى وموسى 164
شبيه عيسى 164
شبيه موسى 166
فما هو وجه المشابهة؟ 166
باقة من بستان علم الجواد 172
أحاديث من بستان علمه عليه السلام 183
1/ حديثان في التوحيد 183
2/ النبي أعلم الخلق وليس أميًّا 185
3/ النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام 186
4/ توصيف الإمام الجواد لحالة الأمة الإسلامية 191
المناجاة بكشف الظلم 192

5/ النهي عن استعمال القياس البشري في الأحكام التعبدية 193
6/ هل الحج مبني على الاحتياط أو التيسير؟ 194
7/ من فلسفة عدة الطلاق والوفاة.. 196
8/ هل ترتبط فضيلة الزيارة بالظروف المحيطة؟ 198
كلمة شكر 201
المصادر 203
الفهرس 213